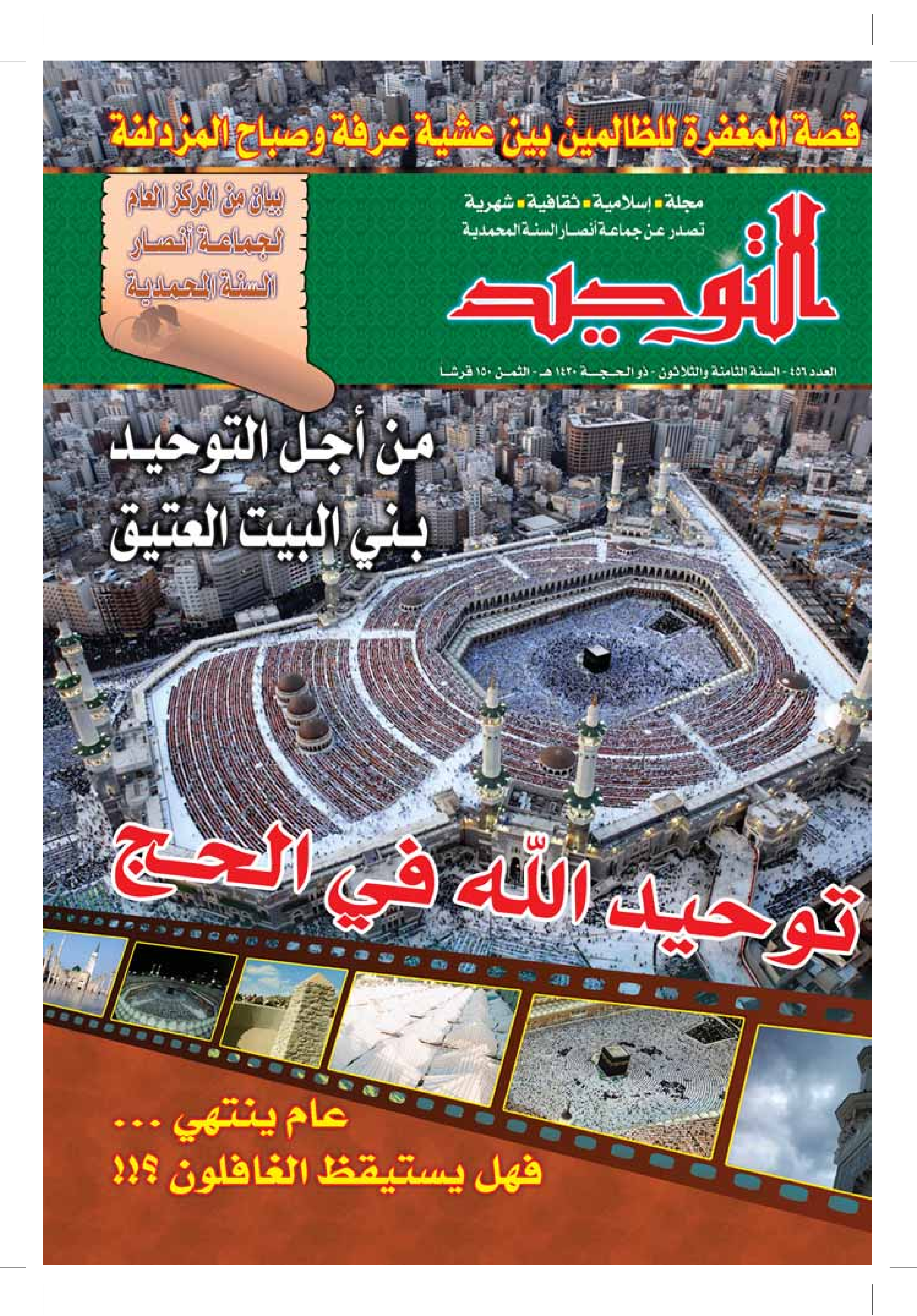

قصة المغفرة للظالمين بين عشية عرفة وصباح المزدلفة
مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
العدد ٤٥٦ - السنة الثامنة والثلاثون - ذو الحجة ١٤٣٠ هـ - الثمن ١٥٠ قرشا
بيان من المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية
من أجل التوحيد بني البيت العتيق
توحيد الله في الحج
عام ينتهي ...
فهل يستيقظ الغافلون ؟!!

بسم الله الرحمن الرحيم
فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
د. عبدالله شاكر

"السلام عليكم"

عجائب النفس البشرية

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «سبحانه الله! في النفس كِبْرُ إبليسَ، وحَسَدُ قابيلَ، وعُتُوّ عادٍ، وطغيانُ ثمودَ، وجرأةُ نمرودَ، واستطالةُ فرعونَ، وبَغْيُ قارونَ، ووقاحةُ هامانَ، وهوى بَلْعَامَ، وحيلُ أصحابِ السبتِ، وتمرُّدُ الوليدِ، وجهلُ أبي جهلٍ.

وفيها من أخلاق الحيوان: حِرْصُ الغراب، وشَرَهُ الكلبِ، ورعونةُ الطاووسِ، ودناءةُ الجُعْلِ (الخنفساء)، وعقوقُ الضَّبِّ، وحِقدُ الجملِ، ووثوبُ الفهدِ، وصَوْلةُ الأسد، وفِسْقُ الفأرة، وخُبْثُ الحية، وعَبَثُ القرد، وجَمْعُ النحلةِ، ومَكْرُ الثعلبِ، وخِفَّةُ الفَراشِ، ونومُ الضبعِ.

غير أنَّ الرياضةَ والمجاهدة تُذهبُ ذلك، فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا الجُند، ولا تصلح سلعته لعقد: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾. فما اشترى الله تعالى إلا سلعة هذَّبها الإيمان، فخرجت مِنْ طبْعها إلى بلدٍ سلطانُهُ التائبون العابدون.

التحرير

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبدالعظيم بدوي

اللجنة العلمية
زكريا حسيني محمد
جمال عبدالرحمن
معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

نقدم للقارئ كرتونة كاملة
تحتوي على ٣٧ مجلداً من مجلدات
مجلة التوحيد عن ٣٧ سنة كاملة

السنة الثامنة والثلاثون
العدد ٤٥٤ شــوال ١٤٣٠ هـ

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

"في هذا العدد"

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١. في الداخل ٢٥ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢. في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

٦٨٠ جنيهاً للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٢٣٠ دولارًا خارج مصر شاملة سعر الشحن

البريد الإلكتروني

المجلة:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام:
WWW.ELSONNA.COM

افتتاحية العدد

من أجل التوحيد بني البيت العتيق

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.. وبعد:

الحج فريضة من أجلّ الفرائض، وأعلاها قدرًا عند الله عز وجل، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، وقد فرضه الله في السنة التاسعة من الهجرة.

قال المرداوي - رحمه الله -: «الصحيح أن الحج فُرض سنة تسع من الهجرة». [الإنصاف للمرداوي ج٥/٨ مع المقنع والشرح الكبير].

والحج -بفتح الحاء، ويجوز كسرها- لغة: القصد، وفي اصطلاح الشرع: قصد موضع مخصوص في وقت مخصوص للقيام بأعمال مخصوصة. [الموسوعة الفقهية ج٢٣/١٧].

وقد تضافرت النصوص الشرعية على الإشادة بفضله، وعظمة ثوابه وجزيل أجره.

والأصل في وجوبه الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

قال ابن كثير - رحمه الله -: «هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وقيل: بل هي قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، والأول أظهر». [ابن كثير ج١/٥٢٨].

وسياق الآية نصٌّ في إثبات الفرضية؛ لأن صيغة: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾ صيغة إيجاب وإلزام، وذلك دليل الفرضية.

وأما السنة فقول النبي ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان». [البخاري ٨، ومسلم ١٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا». فقال رجل: أكلّ عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثًا. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم». ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». [مسلم ٨٢٧].

كما أجمعت الأمة قاطبة على فرضيته، وعلى أنه يجب على

المستطيع في العمر مرة واحدة. [المغني لابن قدامة ج٦/٥].

وقد حج النبي £ حجة واحدة، وهي حجة الوداع، ولا خلاف أنها كانت سنة عشر. [زاد المعاد لابن القيم ج٢/١٠١].

منافع الحج

وللحج منافع عظيمة وفوائد عديدة، تأتي على رأسها الفوائد الدينية، وأول ما يظهر لنا منها: تحقيق التوحيد لرب العالمين. وإن نظرة سريعة إلى أعمال الحج تفيدنا أن التوحيد -وهو ركن الإسلام الأول- ظاهر غاية الظهور في الحج، وشعائر الحج ومناسكه دالة ومشتملة عليه، فالعبد حين ينوي الدخول في النسك من الميقات ويهلّ بالعمرة أو الحج يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، وهذه تلبية رسول الله £ ، كما جاء في الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما. [البخاري ١٥٤٩، ومسلم ١١٨٥].

ومعنى هذه الكلمات: إخلاص القصد والتوجه ولزوم الطاعة، والإجابة بعد الإجابة لله تعالى، وهي تخالف تلبية المشركين الذين أشركوا مع الله آلهة أخرى، ومن مظاهر شركهم في التلبية أنهم كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، فاقتلع الله هذا الشرك ودعا إلى التوحيد، وشرَع هذه التلبية التي تغمر القلوب باليقين والإخلاص، وتحمل قائلها على التوحيد لله وحده، وعدم قصد سواه، ولا يظن ظانّ أن الكعبة التي يطوف حولها يُتبَرك بها وبأحجارها، أو أن البركة تلحق من يلمس هذه الأحجار، وقد أزال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا بقوله: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله £ يقبلك ما قبلتك». [البخاري ١٥٣٢، ومسلم ٣١٢٦].

فإذا انتهى الطائف من طوافه صلى خلف مقام إبراهيم ركعتين يقرأ في الأولى بسورة الكافرون، وفيها براءة من الكافرين، ويقرأ في الركعة الثانية بسورة الإخلاص، وهي سورة التوحيد، وتعدل ثلث القرآن؛ لاشتمالها عليه، فيكون الطائف بهذا قد جمع بين تحقيق التوحيد والتبرؤ من الكافرين، ثم عليه أن يتوجه بعد ذلك إلى الصفا، فإذا رقي الجبل سُنّ له أن يتوجه إلى الكعبة، ويرفع أكفّ الضراعة مكبِّرًا ومهللاً ومتضرعًا ومتذللاً سائلاً ربه ومولاه، ناطقًا بإفراد الله بالتوحيد جلّ في علاه.

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في سياق حجة النبي £ : «.. فبدأ بالصفا فرقي عليه، حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحَّدَ الله وكبَّره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى، حتى إذا صعدتا مشى حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا». [مسلم ١٢١٩].

وهذه كلمات ناطقة بالتوحيد، وفيها نسبة الملك والحمد والقدرة لله وحده، فإذا كان يوم عرفة - وهو يوم عظيم تشهده الملائكة - دعا العبد ربه، وتوجه إليه وحده، وهناك تُسكَب العبرات، وتنطق الكلمات بتوحيد رب الأرض والسماوات، فينطق الحاج بـ«لا إله إلا الله»، وهي كلمة الإسلام، وشعار التوحيد، وكلمة التقوى، وأفضل ما قاله النبيون والمرسلون، فإذا نزل المزدلفة ذكر الله، واستشعر عظمة ربه ومولاه، وأيقن أنه لا يوجد من يماثل الله، وأنه سبحانه المتفضل على عباده: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وعند ذهاب الحاج لرمي الجمرات عليه أن يكبر مع كل حصاة. [المغني لابن قدامة ج٥/٢٩١].

ومن وجب عليه هدْي فعليه أن يذبحه لله، لأن الذبح عبادة، ولا يكون إلا لله، قال الله تعالى موجهًا الخطاب إلى النبي £ ، وأمته تبع له: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ أي: اجعل صلاتك لربك وحده، وانحر ذبيحتك لله وحده، فإنه مُربِّيك ومسبغ نعمه عليك وعلى جميع الخلق دون سواه، وفي إقامة الحاج بمنى عليه أن يشتغل بالذكر والتكبير، وسائر أنواع الطاعات، وهذه كلها أمور

على المسلم العابد القاصد بيت الله ألا يلتفت لأحد سوى الله، وأن يتعلم من مشاهد الحج توحيد الله، وعليه أن يتبرأ من الشرك والمشركين، وهو أمر لازم لتحقيق التوحيد؛ لأن الشرك والتوحيد لا يجتمعان في قلب مسلم صادق.

يظهر فيها التوحيد بأسمى معانيه، وهو ما أُقيم البيت لأجله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، فأمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام أن يطهِّر البيت من كل نجس، وعلى رأس ذلك الشرك كبيره وصغيره، قليله وكثيره، حتى يكون البيت خالصًا لمن يعبدون الله وحده، ويطوفون بالبيت العتيق فحسب؛ لأنه لا يجوز للعبد أن يفعل ذلك في أيِّ بقعة سواه.

قال ابن كثير رحمه الله: «هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبَد غير الله، وأشرك به من قريش في البقعة التي أُسِّست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فذكر الله تعالى أنه بوأ إبراهيم مكان البيت، أي: أرشده إليه وسلَّمه له، وأذن له في بنائه». [تفسير ابن كثير ج٣/٢٩٧].

وعلى المسلم العابد القاصد بيت الله ألا يلتفت لأحد سوى الله، وأن يتعلم من مشاهد الحج توحيد الله، وعليه أن يتبرأ من الشرك والمشركين، وهو أمر لازم لتحقيق التوحيد؛ لأن الشرك والتوحيد لا يجتمعان في قلب مسلم صادق، وقد حثَّ النبي ﷺ وأرشد من قال: «لا إله إلا الله» إلى وجوب الكفر بما يُعبَد من دون الله، كما في حديث مسلم عن أبي مالك عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال: لا إله إلا الله وكفَر بما يُعبَد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله». [مسلم ٢٥].

ولما نزلت سورة التوبة ومطلعها براءة من المشركين أمر النبي ﷺ بإعلانها في أول حجة وقعت في الإسلام في العام التاسع من الهجرة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذِّنون بمنى ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

قال حميد: ثم أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذَّن معنا عليّ في أهل منى يوم النحر ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان».

والحديث ساقه البخاري رحمه الله في كتاب التفسير من صحيحه تحت باب: «وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله». [البخاري ٤٦٥٥].

وفي الآية إعلام وتصريح بأن البراءة من الله ومن رسوله ﷺ، وهي واقعة على المشركين.

ومن المنافع العظيمة الدينية في الحج: أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، والحج المبرور هو الذي استكمل مؤهلات القبول من الإخلاص لله، والسير في المناسك، وفعلها على ما تركنا عليه رسول الله ﷺ، والابتعاد عن الذنوب والمعاصي والآثام.

وقد أمر الله في كتابه في سياق الكلام عن الحج أن يبتعد الحاجّ عن كل ما يخدش حجه ويؤثر فيه، قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وفي هذا تعظيم لهذه الشعيرة العظيمة، وللحرم، وللإثم فيه، ويجب على العبد في أوقات العبادة أن يكون على أكمل الآداب وأفضل الأحوال، فما بالنا إذا كان في أشرف البقاع وعند البيت الذي نسبه الله تعالى إلى نفسه تكريمًا وتشريفًا له، وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تبين الثواب العظيم والأجر الجزيل لمن حج حجًا مبرورًا، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور». [البخاري ٢٦، ومسلم ٨٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة». [البخاري ١٧٧٣، ومسلم ١٣٥١].

قال النووي رحمه الله: «قوله ﷺ: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما. هذا ظاهر في فضيلة العمرة، وأنها مكفِّرة للخطايا الواقعة بين العمرتين.. والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة. الأصح الأشهر أن المبرور هو الذي لا يخالطه إثم، مأخوذ من البر وهو الطاعة، وقيل: هو المقبول، ومن علامة القبول أن يرجع

كلمات التلبية تفيد إخلاص القصد والتوجه والإجابة بعد الإجابة ومخالفة المشركين الذين أشركوا مع الله آلهة أخرى.

خيرًا مما كان، ولا يعاود المعاصي، وقيل: هو الذي لا رياء فيه، وقيل: الذي لا يعقبه معصية، وهما داخلان فيما قبلهما، ومعنى ليس له جزاء إلا الجنة: أنه لا يُقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه، بل لا بد أن يدخل الجنة، والله أعلم». [شرح النووي على مسلم ج٩/١١٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي £ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» [البخاري ١٥٢١، ومسلم ١٣٥١].

قال ابن حجر رحمه الله: «أي بغير ذنب، وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتَّبِعات، وهو من أقوى الشواهد لحديث العباس بن مرداس المصرح بذلك، وله شاهد من حديث ابن عمر في تفسير الطبري». [فتح الباري ج٣/٣٨٣].

وعن ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت [يعني حال حضور الموت] فبكى طويلاً وحوَّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشَّرك رسول الله £ بكذا؟ أما بشَّرك رسول الله £ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نُعدُّ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله £، إني كنت على أطباقٍ ثلاثة [أي على أحوال ثلاث]: لقد رأيتني وما أحدٌ أشدَّ بغضًا لرسول الله £ مني، ولا أحبَّ إليَّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو متّ على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي £ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي. قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يُغفَر لي. قال: «أما علمتَ أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»[مسلم: ١٢٣].

والأحاديث الدالة على فضل الحج ومكانته كثيرة، أكتفي بما ذكرت منها، والمقصود أن يأتي المسلم بفريضة الحج كما أرادها الله، حتى يزيد إيمانه بربه ومولاه، وينال شرف القرب من الله، ويتحقق في نفسه وجوارحه العبودية لله بأسمى معانيها، ويندفع اندفاعًا إلى التمسك بالدين في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والسر والعلانية، ويحقِّق التوحيد لله تعالى على الدوام، فما شُرِع الحج وبُني البيت العتيق إلا لتحقيق التوحيد.

وفي ختام هذا المقال أُذَكِّرُ نفسي وإخواني المسلمين بحرمة البيت ومكانته وعظمته، فقد جعله الله مثابة للناس وأمنًا، فقال الله سبحانه: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]، وسماه بالبيت العتيق، فقال: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩]؛ وذلك لأنه أول مسجد وُضع في الأرض، وقيل: لأن الله يعتق فيه رقاب المذنبين من النار، وقد سماه الله بالبيت الحرام، والحرم الآمن، والبلدة المحرمة، وأم القرى، وكل ذلك يفيد التعظيم والتكريم، فليحافظ المسلم على حرمة هذا البلد وعلى أمنه وسلامته، فهو حرام بحرمة الله منذ خلق الله السماوات والأرض، وإلى أن تقوم الساعة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي £ يوم فتح مكة: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا، فإن هذا بلد حرَّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة» [البخاري ١٨٣٤].

وتعظيم البيت الحرام دليل على التقوى كما قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]. وقد أفاد الحديث السابق أن مكة ستبقى دار إسلام، وسيبقى البيت العتيق في الأرض -إلى أن يشاء الله- تتجه إليه القلوب والوجوه، وتطوف به الأبدان خاضعة خاشعة للكبير المتعال، وبذلك يتحقق إسلام الوجه لله.

أسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلي أن يسلِّم الحجاج والمعتمرين، وأن يتقبل منهم حجهم وسائر أعمالهم، وأن يجعلنا معهم بمنّه وكرمه وفضله، إن ربي وليّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

للحج فوائد عظيمة، جليلة القدر، أعظمها تحقيق التوحيد لرب العالمين وإقامة ذكره سبحانه وتعالى، وإظهار الخضوع والتسليم والعبودية له جل وعلا.



الحمد لله حمدًا يليق بجلاله، نحمده على آلائه، ونسأله المزيد من نعمائه، ونسأله أن يلهمنا الصبر على قدَره وقضائه، وبعد:

فإن الشهور والأعوام والليالي مواقيتُ الأعمال، ومقاديرُ الآجال، تنقضي جميعًا وتمضي سريعًا، والليل والنهار يتعاقبان لا يفتران، ومطيتان تقرِّبان كل بعيد، وتُدنيان كل جديد، وتجيئان بكلِّ موعود إلى يوم القيامة، والسعيد لا يركن إلى الخُدَع، ولا يَغْتَرُّ بالطمع، فكم من مُسْتَقْبِلٍ يومًا لا يَسْتكمله، وكم من مُؤَمِّل لغدٍ لا يُدْرِكُه، ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ١١].

فهذا عام هجري أوشك على الانتهاء، عام من أعمارنا قد تَصرَّمتْ أيَّامه، وقُوِّضت خيامه، وغابَتْ شَمْسُهُ، واضْمَحَلَّ هلالُه، إيذانًا بأن هذه الدنيا ليست بدار قرار، وأن المصير بعدها إما إلى الجنة أو النار، فاحذروا الدنيا ومكائدها، فكمْ غرَّت من مُخْلِدٍ إليها، وصرعت من مُكِبٍّ عليها، واسمعوا وصية نبيكم ﷺ ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».[البخاري ٦٤١٦].

مرور السنين.. وغفلة الغافلين

عام يوشك أن ينتهي ونحن لا نزال نتساءل: أين من عاشرناه كثيرًا وألفنا؟! أين من ملنا إليه بالوداد وانعطفنا؟! كم أغمضنا من أحبابنا جَفْنًا؟! كم عزيز دفناه وانصرفنا؟! فهل رحم الموت منا مريضًا لضعف حاله وأوصاله؟! هل ترك كاسبًا لأجل أطفاله؟! هل أمْهَلَ ذا عيالٍ من أجل عياله؟! فيا من تمرّ عليه سنة بعد سنة وهو في نوم الغفلة، يا من يأتي عليه عامٌ بعد عام وقد غرق في بحر الخطايا وَهَامَ، قل لي بربِّك: لأي شيء أخَّرْتَ توبتك؟! ولأي عام ادَّخرت أوبتك؟! إلى عام قابل وحَوْلٍ حائل؟! فما إليك مدَّةُ الأعمار ولا معرفةُ الأقدار، فبادر بالتوبة واحذر التسويف، وأصْلِحْ من قلبك ما فسد، وكن من أجلك على رَصَد، وتعاهد عُمرك بتحصيل العُدَد، وفرَّ من المعاصي فِرارك من الأسد، فقد أزِفَ الرحيل وقرب

التحويل.

وهذا العمر أمانة، سَيُسْأَلُ عنها المرء يوم القيامة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ». [أخرجه الترمذي، وحسنه الألباني].

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نَقَصَ فيه أجلي ولم يزد فيه عملي».

وذكّرنا ربنا جل جلاله بذلك، فقال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

عظمُ حاجتنا إلى الله والتقرُّب إليه

إن الحياة مهما طالت أيامها، وتتابعت أعوامها، فلا بد للإنسان من أن يرتحل عنها، وأن يودع أصحابها وأهلها، والمؤمن يحتاج إلى الهداية؛ لكي يُصْلِح بها حاله مع الله جل جلاله، فما أحوج العبد إلى قربه من الله سبحانه وتعالى، والله غفورٌ رحيم، فإنه القائل جل وعلا في الحديث القدسي الذي رواه أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ £ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ، قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» [البخاري ٧٥٣٦].

وكم من عبدٍ تاب إلى الله، وتذكّر في ساعته كثرةَ الذنوب في جنب الله، فندم وأراق دموعَ الحسرة، فقام مغفورَ الذنب من الله، فإنه غفورٌ رحيم، جوادٌ كريم.

والعبدُ مأمورٌ بالطاعات، ومنهيٌ عن المحرَّمات في جميع الأوقات، وليحرص في ذلك على الباقيات الصالحات آخرَ العمر، عند قرْب حلول الأجل، وليحذر من الذنوب آخر عمره قرب الممات، عند هجوم هاذم اللذات؛ لقول النبي £ : «..وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ». [البخاري ٦٦٠٧].

فمن وفّقه الله للعمل الصالح في آخر عمره، وفي آخر ساعة من أجله، فقد كتب له حسن الخاتمة، ومن خُذِلَ بعمل يُغضِب ربه تبارك وتعالى فقد خُتِمَ له بخاتمة سوءٍ. عياذًا بالله ولياذًا بجنابه العظيم.

نيران الحقد تأكل أصحابها

إن لنيران الحقد ضرامًا تطيش منه العقول، وتُصمّ الآذان، وتَعْمَى الأبصار، فلا ينتفع صاحب الحقد بعقله ولا بسمعه ولا ببصره: فلا ينتفعُ بعقله حين يضع الأمور في غير محلها، ولا يتفكر في مآلها، ولا ينظر في عواقبها. ولا ينتفعُ بسمعه حين يُصمُّ أذنيه عن سماع النصح، ويولِّي مستكبرًا، مُعرضًا عن قبول التذكير الذي ينفعُ المؤمنين. ولا ينتفعُ ببصره حين يُغلق عينيه عن النظر إلى البيان والهدى الذي يُبْصِرُ به طريق الحق. وعندها تكون العاقبةُ شرًا ووبالاً عليه، وخسرانًا يبوء به، وضلال سَعْي لا يُغادره، ونهايةً تعسةً مظلمة خائبة تنتظره.

إن الحقد لن يكون مطيةً إلى الخير، ولا طريقًا إلى الرشد، ولا سببًا إلى نفع عاجل أو آجل، وما هو إلا مركبٌ، مآلُ راكبه ومن يماثله الغرق والخسران، غير مأسوف عليهم، فلا ينال صاحب الحقد في الدنيا ذكرًا حسنًا، ولا ثناءً جميلاً، وإنما عاقبته وخيمة، يا لها من عاقبة! وإنه لمآلٌ يا له من مآل! نسأل الله السلامة والعافية.

ونحن نودع عامنا الهجري، ما يزال المفلسون من أصحاب الجرائد الصفراء، أصحاب النفوس المريضة يشنّون هجمة شرسة على الجماعة



إن الحقد لن يكون مطيةً إلى الخير، ولا طريقًا إلى الرشد، ولا سببًا إلى نفع عاجل أو آجل، وما هو إلا مركبٌ، مآلُ راكبه ومن يماثله الغرق والخسران، غير مأسوف عليهم



ومجلتها، التي أصبحت - بفضل الله - نبراسًا للباحثين ومنهلاً لطلاب العلم، وزادًا يستزيد به أصحاب المشارب الباحثة عن الحق، وعن وسائل دحر البدع والمبتدعة، والتزود بزاد التقوى، والنهل من العلوم الدينية؛ تُصَوِّب وتصحح العقائد لمن انحرفوا وابتعدوا عن الجادة والطريق الصحيح، فأصبحت بفضل الله المطبوعة الأولى في عالمنا الإسلامي ينتظرها كل مسلم حريص واعٍ.

وقد زادت الهجمة من المفلسين ووصلت إلى حد التطاول، والسبّ والقذف في محاولة لجرّ الجماعة وعلمائها وكُتابها إلى المهاترات، ولكننا نشتكي إلى الله، فهو القادر على أن يخذلهم، ويفضح زيفهم وكذبهم ولؤمهم، ونحن ننأى بأنفسنا أن ننزل في مستنقعهم الممتلئ بالحقد والكراهية لكل ما يُنسب إلى الإسلام، والقضاء العادل سوف يُلقّنهم ما يستحقون من الله؛ جراء بهتانهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



زادت في الآونة الأخيرة الهجمة الشرسة من المفلسين أصحاب الجرائد الصفراء والنفوس المريضة على الجماعة ومجلتها وصلت إلى حد التطاول والسب والقذف من أهل البهتان، ولكن الله قادر على فضح زيفهم وكذبهم ولؤمهم، ولن ننزل إلى مستنقعهم الممتلئ بالحقد والكراهية لكل ما ينسب إلى الإسلام

ألسنة شأنها الإفك والخطل وقلوب أفسدها سوء العمل

نودع عامنا الهجري مع اشتداد الهجوم المعلن، والعداء المبطن على الإسلام وأهله، وأُسُسه وثوابته ومناهجه، من ذوي الفكر المقبوح والتوجه المفضوح؛ ليؤكد بجلاء أن من بين الصفوف يُطل علينا أدعياء أخفياء، طرحوا في تضاعيف الصحف أفكارًا علمانية، شمخ كل واحد منهم بأنف من الجهل طويل، واحتسى من قيح الخبث وقبيح الأباطيل، ونطق بالزّور وافترى الأقاويل، قومٌ بُهْت دنّسوا وجه ما كتبوا عليه من قرطاس ولطخوه بعقائد الشك والجحود والوسواس، مقالات شوهاء، وكلمات عرجاء، وحماقات خرقاء، تبَّت يد من خطها وتبّ، ما أقبح فعله وما كَسَبْ. ألسنةٌ شأنها الإفك والخطل، وقلوب أفسدها سوء العمل، أسافل قد علتْ، لم تَعْلُ من كَرَم، وأقزام تطاولت، وأقلام مأجورة تهافتتْ على الزور وتعاهدتْ.

بُهتوا وخابوا وخسروا، فمن رام هدًى في غير الإسلام ضلّ، ومن رام إصلاحًا بغير الإسلام ذل، ومن أراد أمنًا بغير التوحيد ضاع أمنُهُ واختلّ، «نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام، فمتى ابتغينا العزّة في غيره أذلنا الله». [صححه الحاكم، من كلام عمر رضي الله عنه].

فلن يكون للباطل نماءٌ ولا لأهل الزيغ بقاءٌ ما دام العلماء وصالحو المسلمين للحق دعاة، وللعالم هُداة، وللخير بناة، فإن الباطل إلى اندحار، والحق إلى ظهور وانتشار، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

حصار المآذن.. وإثارة الضغائن

نودع عامًا هجريًا ولا تزال حلقات الكيد للمسلمين تتوالى، ومكرُ المتربصين يتسارع، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١]، وقال جل وعلا: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

بالأمس القريب خرجت علينا أحزاب اليمين المتطرفة في سويسرا؛ وجمعت ١٠٠ ألف توقيع لسن قانون يحظر إقامة المآذن في سويسرا. إنها عنصرية ضد الإسلام، فبعض الدعوات المعادية للمظاهر الإسلامية، تستدعي هويّة الغرب ذات الجذور المسيحية، مع تراجع دور المسيحية في الغرب على

هُويته، وتحديد معالمها في وجه المختلفين عنها، وفي وجه المهاجرين، فأصبحت المعاداة للمهاجرين ترتبط بمعاداة الإسلام، وكلاهما يستدعي موقفًا عنصريًا بات ينمو بوضوح في العديد من الدول الأوروبية.

وعندما يصل الأمر إلى مناقشة المآذن ومدى طولها، وإلى أي مستوًى ترتفع؛ ندرك أن الأمر بات يمثل حالة قومية متشددة؛ تستعيد النزعات القومية التي عرفها الغرب، وفجرت حروبه الغربية التي سُميت عالمية، وكأن المواطن الأوروبي بات ينظر إلى المشهد العام في الشارع، ويحاول أن يجعله أوروبيًا خالصًا، يغلب عليه نمط محدد وشكل بعينه، فكأن ارتفاع المآذن يغيِّر من الطابع العام، ويخفي الهوية الأوروبية، ويُظهر هوية أخرى، وهنا يُنظر إلى الإسلام ليس على أنه دين فقط، ولكن على أنه قومية أخرى تختلف عن القومية الأوروبية والغربية، فيتغير إدراك الناس للمشهد العام للشارع.

والدين ليس قومية، وإنما هو انتماء عقائدي يمكن أن ينتشر داخل أي قومية، مع أن الحالة الأوروبية لم تعد متدينة في غالبها، وهنا يتحول الدين إلى علامة رمزية للقومية، وترتبط القومية بدين معين هو المسيحية في الحالة الأوروبية.

لهذا كله بدأ الغرب يناقش مسألة الحجاب، ثم النقاب، ثم المساجد، ثم المآذن، وتتوالى القضايا مؤكدة وجود رغبة لإعادة رسم ملامح القوميات الغربية الأوروبية، وتستعيد فكرة الرجل الأبيض كأساس للقوميات الأوروبية؛ لتعزل نفسها عن أي قوميات أخرى غير أوروبية، وبهذا يتحول التطرف من حالة خاصة إلى حالة عامة، فإذا استعادت أوروبا تاريخها القومي المتطرف، وأعادت إنتاج العنصرية التي لم تختف بالكامل، فسوف يتغير توجُّه أوروبا وتستعيد تاريخًا مضى، تاريخًا شنَّت فيه الحروب الصليبية.

بادروا بالتوبة قبل انقطاع حبل الرجاء

نودع عامًا ينقضي فأين الحسرات على فوات أمس!! أين العبرات على مُقاساة الرمس؟! أين الاستعداد ليوم تدنو فيه منكم الشمس؟! فتوبوا إلى بارئكم قبل أن يشتمل الهدم على البناء، والكدرُ على الصفاء، وينقطع من الحياة حبلُ الرجاء، وقبل أن تخلو المنازل من أربابها، وتؤذن الديار بخرابها، واغتنموا ممر الساعات والأيام والأعوام، وليحاسب كل واحد منكم نفسه، فقد سَعِدَ من لاحظها وحاسبها، وفاز من تابعها وعاتبها، وهلمّوا إلى دار لا يموت سكانها، ولا يخربُ بنيانها، ولا يهرم شبابُها، ولا يتغير حُسنُها، يقول النبي ﷺ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُ». [مسلم ٢٨٣٨].

فيا أخي المسلم.. استدركْ من العمر ذاهبًا، ودع اللهو جانبًا، وقم في الدُّجى نادبًا، وقف على الباب تائبًا، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». [مسلم ٢٧٦٠].

وأَحْسِنْ فيما بقي يُغْفَرْ لك ما مضى، فإن أسأت فيما بقي أُخذْتَ بما مضى وبما بقي، يقول جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا. وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا. وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ. فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا. وَيَصْلَى سَعِيرًا. إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا. إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ. بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ٦- ١٥].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الغربيون ناقشوا من قبل الحجاب ثم تلاه النقاب، ثم المساجد، ثم المآذن، إنهم ينزعجون مع كل أذان، كما يفر الشيطان عند سماع الأذان وله ضراط، وضراط الغربيين حقد وغليان



تفسير سورتي





إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي
نائب الرئيس العام

الجزء الثلاثون — سورة الفلق

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾ [الفلق: ١- ٥].

تفسير الآيات

اختلف في المراد بالفلق، فقال بعض المفسرين: كلّ ما فَلَقَه الله عن غيره، كالليل عن الصبح، والحب والنوى عن النبت، والأرض عن النبات، والأرحام عن الأولاد، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر.

وقال ابن جرير: إن الله أطلق ولم يقيِّد، فتطلق كذلك كما أطلق.

والذي يشهد له القرآن هو الأول، كما جاء النص الصريح في الصبح والحب والنوى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ × فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٥- ٩٦]. وكلها آيات دالةٌ على قدرة الله. وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي، أنه ﷺ ما كان يرى رؤيا إلا جاءت كفَلَق الصبح. [البخاري ٤، ومسلم ١٦٢].

والفَلَق بمعنى الصبح معروف في كلام العرب. اهـ. من «أضواء البيان».

فأمر الله نبيه أن يستعيذ برب الفلق ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: من شرّ كلّ ذي شر، ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، هذا تخصيص بعد العموم، فلما أمره أن يستعيذ به من شر جميع ما خلَق، خصّ بالذكر هذه الثلاثة؛ لعظم شرّها، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ يعني الليل إذا دخل بظلامه، وفي الليل تنتشر شياطين الإنس والجن، وتتحرك الهوامّ، وتتحرك النفس الأمّارة بالسوء، فتحضُّ صاحبها على الشرّ وتزينه له، وتحدثه أنه لن يراه أحدٌ في الليل. ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، وهنّ السحرة، رجالاً أو نساء، يعقدون الخيط وينفثون فيه، والسحر حقيقةٌ، قد يحصل به الضررُ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠١]، وهو من الكبائر التي أمر النبي ﷺ باجتنابها، فقال: «اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات

المؤمنات الغافلات». [البخاري ٢٧٦٧، ومسلم ٩١].

وقال الله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ × وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢-١٠٣].

وقد اختلف العلماءُ في الساحر: هل يكفرُ بسحره أم لا؟ فذهب بعضُهم إلى كفره، ومما استدلوا به قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: ٦٩]، قالوا: نَفْيُ الفلاح يقتضي نَفْيَ الإيمان؛ لأن الله أثبت الفلاح للمؤمنين، فقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ١]، ونفاه عن الساحر، فدلّ على أنه غير مؤمن، والراجح ما ذهب إليه الإمام الشافعي رحمه الله، حيث قال: يُقالُ للساحر: اعرض علينا سحرك، فإن كان فيه كفرٌ كُفِّر، وإلا فُسِّق.

فاحذر -يا أخا الإسلام- السحرَ وأهله، وإياك وإتيانَ السحرة، ومن ابتُلي بشيء من السحر فلْيَرقِ نفسَه، أو يرقيه غيره ويعوِّذه بالرقى والتعويذات المشروعة، ومن أهمها قراءة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة.

وقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي، أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ: أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: «نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ». فَقُلْتُ: اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، ثُمَّ دُفِنَتِ الْبِئْرُ» [البخاري ٣٢٦٨، ومسلم ٢١٨٩].

وهذا السحر عارضٌ من العوارض البشرية، التي لا يُعفى منها الأنبياء، ولا تؤثر في الدعوة، وإنما تصيب الأجسام دون القلب، ولذلك لم يكن للسحر أي أثر في دعوة النبي ﷺ، إنما فقط: كان يخيَّل إليه أنه يأتي النساء، ولا يأتيهن.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾، الحسد أيضًا حقيقة، وقد قال النبي ﷺ: «العين حق» [البخاري ٥٧٤٠، ومسلم ٢١٩٠]. ولذا أمر الله نبيه أن يستعيذ به من شر حاسد إذا حسد.

وقد سبق الكلام عن الحسد وعلاجه في آخر سورة القلم، عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ [القلم: ٥١].

اللهم احفظنا من كل حاسد إذا حسد.

فاحذر يا أخا الإسلام السحرَ وأهله، وإياك وإتيانَ السحرة، ومن ابتُلي بشيء من السحر فليرق نفسه، أو يرقيه غيره ويعوّذه بالرقى والتعويذات المشروعة، ومن أهمها قراءة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة.

تفسير سورة الناس

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾

تفسير الآيات

في سورة الفلق كان المستعاذُ منه أربعةً: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

ولم يُذْكر للمستعَاذ به، وهو الله عز وجل، إلا صفة واحدة، صفة الربوبية: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، أما هنا في سورة الناس فالمستعاذ منه واحدٌ، وهو الوسواس الخنَّاس، ومع ذلك فقد ذُكِرَ للمستعَاذ به، وهو الله، ثلاث صفات: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ﴾؛ وذلك لأن شرَّ جميع ما خلق الله دون شرّ الوسواس؛ لأن شر الخلق سوى الوسواس إنما يلحق البدنَ دون القلب، فإذا تلف البدنُ وسلم القلبُ فاز الإنسان ونجا، ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ . إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨- ٨٩]، أما شرّ الوسواس فإنه يُتلف القلب ويُفسده، وإذا فسد القلبُ فسد الجسد كله، وخسر صاحبه الدنيا والآخرة.

ثم إن أعداء الإنس ربما ردَّ الإنسان أذاهم، واتقى شرهم، إذا أحسن إليهم، وصبَر عليهم، أما الوسواس فإنه لا ينفع معه إحسانٌ أبدًا، ولا ينجِّي منه إلا اللجأُ إلى الله رب العالمين، والاستعاذة به منه، ولذا قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٩٩- ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ . وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦- ٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٦].

فهذه ثلاثةُ مواضع في القرآن الكريم لا رابع لها، أرشد الله فيها عباده إلى الإحسان إلى أعدائهم، فإنهم بالإحسان يكونون أولياء مخلصين، وأمرهم في المواضع الثلاثة أن يستعيذوا به من نزغات الشيطان؛ فإنه لا يعيذهم منها إلا ربّ العالمين.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ﴾. فالله تعالى هو رب العالمين، وهو مليكُهم الذي يأمرهم وينهاهم، وهو إلههم الذي يجبُ أن يُفردوه بالعبادة.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشيطان جاثمٌ على قلب ابن آدم، فإذا غفل عن ذكر الله وسْوَس، وإذا ذكر الله خنَس، قال الله تعالى عن حزب الشيطان: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

وعن سليمان بن صُرد رضي الله عنه قال: اسْتَبَّ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ. [البخاري ٦١١٥، ومسلم ٢٦١٢].

نسأل الله السلامة والعافية، كان هذا الرجل قد استحوذ عليه الشيطان، فما استطاع أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن». قالوا: حتى أنت يا رسول الله؟ قال: «حتى أنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير» [مسلم ٢٨١٦].

وكان النبي ﷺ معتكفًا فزارته صفية، فقام معها يودِّعها، فمرَّ عليه رجلان، فلما رأياه أسرعا، فقال ﷺ: «على رِسْلكما، إنها صفية». فقالوا: سبحان الله يا رسول الله! فقال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا». [البخاري:٢٠٣٥، ومسلم: ٢١٧٧].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ تفسيرٌ للوسواس الخناس الذي يوسوسُ في صدور الناس، فالوسواس يكون من الجِنَّة كما يكون من الناس، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنفال: ١١٢]، فمن الإنس شياطين، كما أنّ من الجنّ شياطين، فشياطين الإنس توسوس، وشياطين الجن توسوس، والنفس أيضًا توسوس، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦]. والله تعالى يأمر نبيه وعباده المؤمنين أن يستعيذوا به من عموم الوسواس ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ والنفس.

والوسوسة -مثل الوشوشة-: الإسرار بالكلام. ومن استعاذ بالله أعاذه، كما أعاذ يوسف عليه السلام: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]، ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ . فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٣- ٣٤]، السميع للاستعاذة، العليم بنية المستعيذ، فإذا علم منه الإخلاص والصدق وقوة الرغبة في إعاذة الله له أعاذه.

﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، رب أعنتني على إتمام تفسير حزب المفصل، فأعني على إتمام التفسير كله، وتقبل مني، واجعل ثواب ذلك ذُخرًا لي عندك يوم الدين، ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ﴾ يا رب العالمين.

إن من الإنس شياطين كما أنّ من الجن شياطين، فشياطين الإنس توسوس، وشياطين الجن توسوس، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن !!



باب الفقه

من سنن الفطرة

الحلقة الرابعة

إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه، وبعد:

فقد تكلمنا في الحلقات السابقة عن بعض سنن الفطرة، ونكمل الحديث اليوم عن بعضها، وهي: الاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب. وقد آثرت أن أتكلم عنها مجتمعة لما بينها من ارتباط في الأحكام.

والأصل في بيان هذه السنن ما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب». [مسلم ٢٥٩].



أولاً: التعريف

١- الاستحداد: وسُمي بذلك لاستعمال الحديدة، وهي الموسى. [لسان العرب، مادة حدد ٣ / ١٤١]. وقد ورد بلفظ آخر وهو (حلق العانة) كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عند البخاري، وحديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم.

ومعناه: حلق أو إزالة الشعر النابت حول فرج الرجل وفرج المرأة. قال الإمام النووي في المجموع: «وأما حقيقة العانة التي يُستحب حلقها فالمشهور أنها الشعر النابت حَوَالي ذَكَر الرجل وقُبل المرأة وفوقهما». [١ / ٣٤٢].

٢- نتف الإبط: الإبط ما تحت الجناح يُذَكَّر ويُؤنَّث، والجمع آباط مثل حمل وأحمال، وتأبط الشيء جعله تحت إبطه. [المصباح المنير للفيومي ١ / ١ كتاب الألف].

النتف: نزع الشعر والشيب والريش، يقال: نتفت الشعر والريش أنتفه نتفًا نزعته بالمنتاف أو بالأصابع، ونُتافة الإبط: ما نُتف منه. [لسان العرب ٩ / ٣٨٥].

٣- تقليم الأظفار: التقليم أعمّ من القَلْم، وهو القطع. قال الفيومي في «المصباح المنير»: قلمته قلمًا من باب ضرب قطعته، وقلّمْت الظُّفر: أخذت ما طال منه. [٢ / ٥١٥].

والظُّفُر للإنسان مذكَّر، وفيه لغات أفصحها بضمتين، وبهما قرأ السبعة المشهورون في قوله تعالى: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]. [انظر المصدر السابق ١ / ٣٨٥].

فتقليم الأظفار هو قطع ما زاد من أظفار اليدين والرجلين.

٤- قص الشارب: القص هو قطع شيء من شيء بآلة مخصوصة وقد وردت ألفاظ قريبة المعنى في بعض الروايات من القص كالأخذ والتقصير وورد لفظ الإحفاء وهو الاستئصال والمبالغة في الإزالة، ووردت عبارة قريبة المعنى منه كالجز والإنهاك.

أما الشارب: فهو ما ينبت على الشفة العليا من الشعر. [المعجم الوسيط].

ثانيًا: الحكم

اتفق العلماء على استحباب الاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، قال الإمام الشوكاني: الاستحداد هو حلق العانة، وهو سنة بالاتفاق، ونتف الإبط سنة بالاتفاق أيضًا. [نيل الأوطار: ١ / ١٢٨].

وقال ابن قدامة: «والاستحداد حلق العانة وهو مستحب». [المغني: ١ / ٧١].

وقال الإمام النووي: أما تقليم الأظفار فأُجمع على أنه سنة، وسُوِّي فيه بين الرجل والمرأة واليدين والرجلين. [المجموع شرح المهذب ١ / ٢٨٥].

وقال ابن قدامة: ويستحب تقليم الأظفار؛ لأنه من الفطرة ويتفاحش بتركه. [المغني: ١ / ٧٢].

وقال النووي: وقص الشارب هو سنة بالاتفاق، والقاصّ مخيَّر بين أن يتولى ذلك بنفسه أو يوليه غيره لحصول المقصود. [شرح صحيح مسلم ٢ / ١٥٣].

ثالثًا: الكيفية

بعد أن اتفق العلماء على استحباب هذه السنن، وأنه يجوز إزالة الشعر عن العانة والإبط والشارب بأي

وسيلة حققت المقصود، اختلفوا في أي الوسائل أولى وأفضل في تحقيق هذه السنن:

١- العانة: مع أن إزالة شعر العانة تجوز بالقص والنتف والنورة، إلا أن الحلق هو الأوْلَى في التعامل معها.

فبالنسبة للرجل لا خلاف بين الفقهاء في أن الحلق أفضل لإزالة شعر العانة، أما المرأة فيرى الحنفية والشافعية أن الأولى في حقها النتف، وذهب جمهور المالكية والنووي في قول إلى ترجيح الحلق في حق المرأة؛ لحديث جابر عند البخاري في النهي عن طروق النساء ليلاً حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيَّبة. [الموسوعة الفقهية ٢٩ / ٢٣٤].

وما ذهب إليه المالكية هو الأرجح؛ لظاهر قوله £ في حديث الفطرة: «وحلق العانة» ولم يرد نص يدل على خصوصية المرأة بالنتف.

٢- الإبط: جمهور العلماء على أن من نظر إلى اللفظ -أي الوارد في أحاديث الفطرة- وقف مع النتف، ومن نظر إلى المعنى أجازه بكل مزيل. قال الإمام بدر الدين العيني من أئمة الحنفية: والأفضل فيه النتف لمن قوي عليه، ويحصل أيضًا بالحلق والنُّورة. [نقلاً عن قبس من هدي الصلاة لعلي مرسي ص٢٤].

والنورة: حجر الكلس، وهو أخلاط من أملاح الكالسيوم والباريوم تُستعمل لإزالة الشعر. وفي معناها المزيلات التي تُستعمل الآن في إزالة الشعر.

٣- الشارب: إن المتأمل في الأحاديث التي وردت بخصوص الشارب يجد أن الفطرة قد وردت بلفظ القص، أما الأحاديث التي اشتملت على أمر الرسول £ بإعفاء اللحية فاقترن بها الأمر بإحفاء أو إنهاك أو جزّ الشارب. وأدى ذلك إلى اختلاف أهل العلم في حدّ ما يُقص من الشارب.

قال الإمام الشوكاني: وذهب كثير من السلف إلى استئصاله وحلقه؛ لظاهر قوله £ : «أحفوا»، و«انهكوا». وهو قول الكوفيين. ومال إليه الشوكاني- [انظر: نيل الأوطار ١ / ٣٢٢].

واحتجوا أيضًا بما أخرجه البخاري تعليقًا: «أن ابن عمر كان يحفي شاربه حتى ينظر إلى بياض الجلدة». وقال أبو بكر الأثرم: رأيت أحمد بن حنبل يحفي شاربه إحفاءً شديدًا، ونص على أنه أولى من القص.

وذهب كثير من أهل العلم كـ: مالك والشافعي إلى منع الحلق والاستئصال. قال الإمام النووي: المختار أنه يقص حتى يبدو طرف الشفة، ولا يحفيه من أصله. قال: وهذه الروايات -أي التي وردت فيها ألفاظ الحف والجز والإنهاك- محمولة عندنا على الحف من طرف الشفة لا من أصل الشعر. [المجموع ١ / ٣٤٠].

وقال الإمام ابن عبد البر: إنما في الباب أصلان: «أحفوا» وهو لفظ محتمل التأويل، والثاني «قص الشارب» وهو مفسِّر، والمفسر يقضي على المحتمل، وهو عمل أهل المدينة، وهو أولى ما قيل به في هذا الباب. [نقلاً عن تفسير القرطبي ٣ / ١٠٥].

وذهب بعض أهل العلم إلى التخيير بين القص والإحفاء. ونقل الشوكاني هذا القول عن الإمام ابن قدامة من كبار أئمة الحنابلة، قال: هو مخير بين أن يحفيه وبين أن يقصه. [نيل الأوطار ١ / ٣٢١].

وهذا الرأي هو الراجح؛ لأن السنة دلت على جواز الأمرين بلا تعارض بينهما؛ لأن القص يدل على أخذ البعض، والإحفاء يدل على أخذ الكل، وكلاهما ثابت، فيختار المكلف أيهما شاء.

اتفق العلماء على استحباب الاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب.

٤- الأظفار: وردت الأحاديث بتقليم الأظفار، وقد ذكرنا معنى التقليم قبل ذلك، ويستحب الاستقصاء في إزالة الأظفار إلى حدٍّ لا يتحقق معه ضرر إلى الإصبع، والنساء في طلب القص وتقليم الأظفار أحوج من غيرهن؛ لكثرة ملامستهن للطعام ونحوه، وهو الأمر الذي يتطلب خصوصية في تحقيق نظافة أصابعهن، ولم يثبت في ترتيب الأصابع عند تقليمها نص معين، ولكن استحب أهل العلم أن يبدأ الإنسان بيده اليمنى، ثم اليسرى، وكذلك في الأرجل؛ لأن النبي £ كان «يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ في تَنَعُّلِه وَتَرَجُّلِه وَطُهُورِه وَفِي شَأْنِه كُلِّه». [البخاري ١٦٨].

رابعاً: الوقت

لم يثبت في شيء من أحاديث رسول الله £ التي وردت في خصال الفطرة المذكورة ما يدل على وقت فعل هذه السنن، فمتى استحقت هذه المواضع الإزالة أو القص كان على الإنسان إزالتها، وهذا يختلف من شخص إلى شخص آخر.

قال الإمام النووي: ينبغي أن يختلف ذلك باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط الحاجة في هذا، وفي جميع الخصال المذكورة، لكن لا يمنع من التفقد يوم الجمعة فإن المبالغة في التنظيف فيه مشروعة.

وعلى ذلك فيُستحب للإنسان أن يباشر هذه السنن في يوم الجمعة، وبخاصة قبل الذهاب لأداء صلاة الجمعة، وأما الحديث الذي رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «وقّت لنا رسول الله ﷺ في قص الشارب وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، أن لا نترك أكثر من أربعين يومًا وليلة». [مسلم ٢٥٩].

فمعنى الحديث أنهم لا يؤخرون فعل هذه السنن عن وقتها، فإن أخروها فلا يؤخرونها أكثر من أربعين يومًا، وليس معناه الإذن في التأخير أربعين مطلقًا. [المجموع ١ / ٣٤٠ بتصرف].

مسألة: ذهب أكثر أهل العلم إلى استحباب دفن ما أزاله الإنسان من شعره أو قلّمه من أظفاره. قال الإمام ابن قدامة: ويستحب دفن ما قلم من أظفاره، أو أزال من شعره. وقال مهنا: سألت أحمد بن حنبل عن الرجل يأخذ من شعره وأظفاره أيدفنه أم يلقيه؟ قال: يدفنه. قلت: بلغك فيه شيء؟ قال: كان ابن عمر يدفنه. [المغني ١ / ٧٢ باختصار].

ونقل النووي اتفاق أصحاب الشافعي على ذلك. وقال الحافظ في الفتح: «وقد استحب أصحابنا - أي أصحاب الشافعي - دفنها؛ لكونها إجزاء من الآدمي». [١٠ / ٣٥٩].

فإذا وجد الإنسان سبيلاً إلى دفنها فهو أولى، أما إذا شق عليه ذلك فلا حرج عليه إذا تخلص منها بأي طريقة. فهذا أهمّ ما يتعلق بهذه السنن من أحكام.

ذهب أكثر أهل العلم إلى استحباب دفن ما أزاله الإنسان من شعره أو قلّمه من أظفاره

غسل البراجم

ننتقل الآن إلى سنة أخرى من سنن الفطرة، وهي غسل البراجم، وقد ورد ذكرها في حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «عشر من الفطرة قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء، ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة». [مسلم ٢٦٣].

أولاً: التعريف

البراجم بفتح الباء جمع بُرجمة بضمها، وهي العقد المتشنجة الجلد في ظهور الأصابع، وهي مفاصلها التي في وسطها بين الرواجب والأشاجع، فالرواجب هي المفاصل التي تلي رءوس الأصابع، والأشاجع: هي المفاصل التي تلي ظهر الكف. [لسان العرب: ١٢ / ٥٣ بتصرف].

ثانيًا: حكمها

اتفق الفقهاء على استحباب غسل البراجم، وهي سنة مستقلة عن الوضوء. قال الإمام النووي: وأما غسل البراجم فمتفق على استحبابه، وهي سنة مستقلة غير مختصة بالوضوء. [المجموع: ١ / ٣٤١].

وألحق بها أهل العلم إزالة ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن، وقعر الصماخ، فيزيله بالمسح، وكذا ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات الملتصقة بجوانبه، وكذا الوسخ الذي يجتمع على غير ذلك من البدن بعرق وغبار ونحوهما. [ذكره النووي في المجموع نقلاً عن الإمام الغزالي ١ / ٢٤١، وقد قال بمعناه غير واحد من أهل العلم، انظر: نيل الأوطار للشوكاني ١ / ٣٠٠، والموسوعة الفقهية ٨ / ٥٤].

فعلى المرء أن يتعاهد هذه الأماكن بالغسل والنظافة؛ لتكون عنوانًا على نظافة الجسم كله.

الانتضاح

لم يأت ذكر الانتضاح ضمن سنن الفطرة إلا في الحديث الذي رواه عمار بن ياسر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من الفطرة: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وغسل البراجم، والانتضاح». [أبو داود ٥٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٥٤].

وهذه السنة من السنن المهجورة التي هجرها أكثر الناس، بل لا يعرف عنها الكثير شيئًا، وربما لم يسمع بها.

أولاً: التعريف

الانتضاح هو أن يأخذ قليلاً من الماء فيرش على مذاكيره وسراويله بعد الوضوء؛ لينفي عنه الوسواس. قال الزبيدي: انتضح الرجل واستنضح، إذا نضح ماءً، أي شيئًا منه، على فرجه، أي مذاكيره ومؤتزره بعد الفراغ من الوضوء؛ لينفي بذلك عنه الوسواس. [تاج العروس: ٤ / ٢٣٤]. وهو المراد من الحديث الذي ذكرناه، وعليه جمهور العلماء.

حكمه: ذهب جمهور الفقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أنه يُستحب للمتوضئ أن يأخذ حفنة من ماء، فينضح بها فرجه، وداخل سراويله، أو إزاره، بعد الاستنجاء دفعًا للوسواس.

قال حنبل: سألت أحمد قلت: أتوضأ وأستبرئ وأجد في نفسي أني قد أحدثت بعده؟ قال: إذا توضأت فاستبرئ، ثم خذ كفًا من ماء فرشّه على فرجك، ولا تلتفت إليه، فإنه يذهب إن شاء الله. [الموسوعة الفقهية ٤٠ / ٣٣٣].



الحمد لله رب العالمين، نحمده حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم أنبيائه وإمام رسله: نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فقد تكلمنا في العددين السابقين عن حديث أنس بن مالك في الشفاعة، وما تعلق به من حيث التخريج، ومعرفة من رواه من الصحابة، ثم اختلاف ألفاظ الحديث كما جاءت في رواياته، وبعدها تكلمنا عن ميزات كل رسول من الرسل الذين يستشفع بهم الخلق إلى ربهم، ثم كان الحديث عن الخطايا المنسوبة لكل واحد منهم وعصمة الأنبياء، ثم الكلام عن منكري الشفاعة ورد أهل السنة عليهم، وإيراد النصوص القرآنية والحديثية الواردة في إثبات الشفاعة، ثم تكلمنا عن أنواع الشفاعة، وبقي الكلام عما ورد في الحديث من صفات الله تعالى، ومن رؤية الله عز وجل يوم القيامة، فنقول مستعينين بالله تعالى:

عاشرًا: الأوصاف التي وردت لله في الحديث

أ- قوله في الحديث: «يا آدم خلقك الله بيده».

هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه في أربعة مواضع ضمن المواضع التي أخرجه فيها، وقد ترجم له في هذا الموضع بقوله: «باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وأراد البخاري - رحمه الله تعالى - بيان ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من صفة اليدين على ظاهر ما نطقت به النصوص المتنوعة الدلالة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تبارك وتعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال جل وعلا: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وقال جل جلاله: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] في أكثر من موضع من القرآن الكريم، والأحاديث في ذلك كثيرة.

قال الشيخ عبد الله الغنيمان في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: وقد اضطرب أهل التأويل في تأويلهم اليد اضطرابًا شديدًا يدل على أنهم على باطل، قال: والعاقل المنصف يعجب إذا رأى ما كتبه الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الباب، فإنه ذكر بعض أقوال أئمة الأشعرية، ثم قال: «واليد في اللغة تُطلق لمعان كثيرة، اجتمع لنا منها خمسة وعشرون معنًى، وساقها واحدًا واحدًا مستدلاً أو ممثلاً لبعضها»، قال الشيخ الغنيمان: والنصوص في هذا الباب جاءت معيَّنةً معنًى واحدًا لا غير، هو يدا

الله الكريمتان، وما عدا ذلك فهو بهتان عظيم. اهـ.

ولقد ساق الإمام البخاري بعد هذا الحديث في الباب نفسه خمسة أحاديث هي:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سَحَّاءُ الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده». وقال: «وكان عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع». [ح: ٧٤١١]. وحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله £ أنه قال: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك». [ح: ٧٤١٢]. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : "يقبض الله الأرض". [ح: ٧٤١٣].

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن يهوديًا جاء إلى النبي £ ، فقال: يا محمد، إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك. فضحك رسول الله £ حتى بدت نواجذه. ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ . قال يحيى بن سعيد: وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عَبِيدة عن عبد الله: فضحك رسول الله £ تعجبًا وتصديقًا له. [ح: ٧٤١٤].

وحديث ابن مسعود من طريق آخر قال عبدالله: جاء رجل إلى النبي £ من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم، إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، فرأيت النبي £ ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [ح: ٧٤١٥].

وهذه الأحاديث تدل على عظمة الله تبارك وتعالى؛ حيث يضع السماوات كلها على إصبع من أصابع يده الكريمة العظيمة الجليلة، وعدَّ المخلوقات المعروفة للخلق بالكِبَر والعظمة، وأخبر أن كل نوع منها يضعه رب العالمين على إصبع، ولو شاء سبحانه لوضع السماوات والأرضين ومَن فيهن وما فيهن على إصبع واحدة من أصابع يده عز وجل.

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه عن الرجل أو الحبر اليهودي يتبين منه أن هذا عِلْمٌ موروث عن الأنبياء متلقًى من الوحي عن الله تبارك وتعالى، ولهذا صدَّقه النبي £ ، بل وأعجبه ذلك وسُرَّ به، ولذلك ضحك حتى بدت نواجذه؛ تصديقًا له، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه.

ولا ينبغي أن يُلتفت إلى قول أهل التعطيل الذين لا يعرفون من هذه الأوصاف إلا ما يعرفونه من أنفسهم، فحمَلهم ذلك على تعطيل الله عز وجل عن هذه الأوصاف؛ وذلك بردِّهم النصوص والطعن في رواتها حينًا، وأحيانًا بتأويلها التأويل الباطل الذي يُخرجها عن مراد من تكلم بها، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقد تنوعت النصوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله £ على إثبات اليدين لله عز وجل، وإثبات الأصابع لهما، وإثبات القبض بهما، وتثنيتهما، وأن إحداهما يمين كما مر -وفي نصوص كثيرة والأخرى شمال - كما في صحيح مسلم، وأنه تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل [مسلم ٢٧٦٠]، وأنه يقبل الصدقة من الكسب الطيب بيمينه فيربيها لصاحبها،[مسلم١٠١٦]، وأن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين [مسلم١٤٢]، وغير ذلك مما هو ثابت عن الله ورسوله.

وهذه النصوص، من تأملها عرف أنه يمتنع تأويل اليدين بالنعمة، أو القوة، أو القدرة أو الخزائن، أو غير ذلك، ويعرف أن التأويل في حكم التحريف - تحريف الكلم عن مواضعه - بل هو تحريف.

هذا، وقد آمن المسلمون بهذه النصوص -على ظاهرها - وقبلوها، ولم يتعرضوا لها بالتأويل، متبعين في ذلك رسول الله £ وصحابته، وأئمة الهدى، بل وكل من قَبِلَ ما جاءت به الرسل وآمَن به.

ولقد استفاض ابن حجر في نقل أقوال المثبتين والمتأولين في هذه النصوص، ولم يجنح إلى ترجيح وجه الحق فيها، فنقل كلام ابن بطال عند شرحه لقول البخاري (باب قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾). وقال: قال ابن بطال: "في هذه الآية إثبات يدين لله تعالى، وهما صفتان من صفات ذاته وليستا بجارحتين -خلافًا للمشبهة من المثبتة، وللجهمية من المعطلة، ويكفي في الرد على من زعم أنهما بمعنى القدرة، أنهم أجمعوا على أن له قدرة واحدة في قول المثبتة، ولا قدرة له في قول النفاة ؛ لأنهم يقولون: إنه قادر لذاته. ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة أن في قوله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، إشارةً إلى المعنى الذي أوجَب السجود، فلو كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرته، ولقال إبليس: وأي فضيلة له عليَّ وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته بقدرتك، فلما قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ دلَّ على اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه، قال: ولا جائز أن يُراد باليدين النعمتان ؛ لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق ؛ لأن النعم مخلوقة، ولا يلزم من كونهما صفتي ذات كونهما جارحتين. وقال ابن التين: قوله: "وبيده الأخرى الميزان يدفع تأويل اليد هنا بالقدرة، وكذا قوله في حديث ابن عباس رضي الله عنهما رفعه: "أول ما خلق الله القلم، فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين". الحديث [السنة لابن أبي عاصم ١٠٦]. وقال ابن فورك: قيل اليد بمعنى الذات، وهذا يستقيم في مثل قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ بخلاف قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فإنه سِيق للرد على إبليس، فلو حمل على الذات لما اتجه الرد". اهـ من الفتح.

قلت: كلام ابن بطال متجه إلا قوله: "ليستا بجارحتين" فإن كلمة جارحة وتثنيتها وجمعها، لم ترد في نص من كتاب الله ولا في سنة رسول الله £ ، ولا في كلام السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، لا نفيًا ولا إثباتًا بالنسبة لربنا عز وجل؛ فيسعنا ما وسعهم من السكوت عما سكتوا عنه، فلا ينبغي لنا أن نذكر ذلك لا إثباتًا ولا نفيًا.

ثم نقل الحافظ كلام الخطابي تعقيبًا على حديث ابن مسعود في ضحك النبي £ من كلام اليهودي: "إن الله يمسك السماوات على إصبع"، وهو كلام عجيب جدًا من الخطابي، ولم يعقِّب ابن حجر على كلام الخطابي إلا في إنكاره ورود الأصابع في حديث مقطوع به، بل أعقب كلام الخطابي بما يؤيده من كلام القرطبي، وهذا غاية العجب.

قال الحافظ في الفتح: قال الخطابي: "لم يقع ذكر الإصبع في القرآن ولا في حديث مقطوع به، وقد تقرر أن اليد ليست بجارحة حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع، بل هو توقيف أطلقه الشارع فلا يكيَّف ولا يشبَّه، ولعل ذكر الأصابع من تخليط اليهودي، فإن اليهود مشبهة، وفيما يدعونه من التوراة ألفاظ تدخل في باب التشبيه ولا تدخل في مذاهب المسلمين، وأما ضحكه £ من قول الحبر فيحتمل الرضا ويحتمل الإنكار، وأما قول الراوي "تصديقًا له"، فظن منه وحسبان، وقد جاء الحديث من عدة طرق ليس فيها هذه الزيادة، وعلى تقدير صحتها فقد يُستدل بحمرة الوجه على الخجل، وبصفرته على الوَجَل، ويكون الأمر بخلاف ذلك ؛ فقد تكون الحمرة لأمر حدث في البدن كثوران الدم، والصفرة لثوران خَلْط من مرارٍ وغيره، وعلى تقدير أن يكون ذلك محفوظًا فهو محمول على تأويل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أي: قدرته على طيها، وسهولة الأمر عليه في جمعها بمنزلة من جمع شيئًا في كفه، واستقل بحمله من غير أن يجمع كفه عليه، بل يقله ببعض أصابعه، وقد جرى في أمثالهم: فلان يُقلّ – كذا – بإصبعه ويعمله بخنصره". انتهى ملخصًا.

ثم نقل كلام القرطبي في المفهم قال: قوله: "إن الله يمسك.." إلى آخر الحديث، هذا كله قول اليهودي، وهم يعتقدون التجسيم، وأن الله شخص ذو جوارح، كما يعتقده غلاة المشبهة من هذه الأمة. وضحك النبي £ إنما هو للتعجب من جهل اليهودي، ولهذا قرأ عند ذلك: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته ولا عظَّموه حق تعظيمه، فهذه الرواية هي الصحيحة المحققة، وأما من زاد: "وتصديقًا له" فليست بشيء فإنها من قول الراوي، وهي باطلة ؛ لأن النبي £ لا يصدق المحال، وهذه الأوصاف في حق الله محال ؛ إذ لو كان ذا يد وأصابع وجوارح كان كواحد منا، فكان يجب له من الافتقار والحدوث والنقص والعجز ما يجب لنا، ولو كان كذلك لاستحال أن يكون إلهًا ؛ إذ لو جازت الإلهية لمن هذه صفته لصحت للدجال وهو محال.

إلى أن قال: فإن قيل قد صح حديث: "إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن...". فالجواب أنه إذا جاءنا مثل هذا في الكلام الصادق تأولناه أو توقفنا فيه إلى أن يتبين وجهه، مع القطع باستحالة ظاهره؛ لضرورة صدق من دلت المعجزة على صدقه، ثم لو سلمنا أن النبي £ صرح بتصديقه لم يكن ذلك تصديقًا له في المعنى، بل في اللفظ الذي نقله من كتابه عن نبيه، ونقطع بأن ظاهره غير مراد". انتهى.

ثم زكى ابن حجر كلام القرطبي الأخير بقوله: وهذا الذي نحا إليه أخيرًا – يعني تصديق الأخبار وتأويلها على غير ظاهرها – أولى مما ابتدأ به؛ لما فيه من الطعن على ثقات الرواة ورد الأخبار الثابتة، ولو كان الأمر على خلاف ما فهمه الراوي بالظن للزم منه تقرير النبي £ على الباطل، وسكوته عن الإنكار، وحاشا لله من ذلك، ثم أشار إلى كلام ابن خزيمة في الإنكار على من ادَّعى أن الضحك المذكور كان على سبيل الإنكار.

ونسوق كلام إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة –رحمه الله تعالى – في كتابه "التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل" قال في (باب ذكر إمساك الله – تبارك وتعالى اسمه وجل ثناؤه – السماوات والأرض وما عليها على أصابعه) قال قبل أن يسوق الأحاديث بأسانيدها وهي –كلها صحيحة بحمد الله تعالى –: "جلّ ربنا عن أن تكون أصابعه كأصابع خلقه، وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه، وقد أجلَّ الله قدر نبيه £ عن أن يوصف الخالق الباري بحضرته بما ليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده، ويجعل بدل التكبير والغضب على المتكلم به ضحكًا تبدو نواجذه، بل لا يصف النبي £ بهذه الصفة مؤمن به مصدق برسالته".

ثم ساق الإمام ابن خزيمة حديث ابن مسعود برواياته المتعددة وطرقه، وكذا حديث ابن عباس في نفس الباب، وحديث أبي سعيد في القبضتين، وكذا حديث أنس رضي الله عنهم جميعًا.

وقال رحمه الله: (باب إثبات الأصابع لله عز وجل): "من سنة النبي £ قيلاً له لا حكاية عن غيره، كما زعم بعض أهل الجهل والعناد أن خبر ابن مسعود ليس هو من قول النبي £ تصديقًا لليهودي. وساق بسنده حديث النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله £ يقول: "ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الله تعالى إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه". وكان رسول الله £ يقول: "يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك، والميزان بيد الرحمن يخفض ويرفع". هذا حديث الباهلي، وقال الآخرون: "فإذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه". ثم روى حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله £ كان يكثر في دعائه: "اللهم يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك". قالت: فقلت: يا رسول الله، وإن القلوب لتتقلب ؟ قال: "نعم، ما من خلق

لله من بني آدم إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه".

ثم قال رحمه الله: فتدبروا يا أولي الألباب ما نقوله في هذا الباب في ذكر اليدين ليجري قولنا في ذكر الوجه والعينين تستيقنوا بهداية الله إياكم، وشرحه جل وعلا صدوركم للإيمان بما قصه الله جل وعلا في محكم تنزيله، وبيَّنه على لسان نبيه ﷺ من صفات خالقنا عز وجل، وتعلموا بتوفيق الله إياكم أن الحق والصواب والعدل في هذا الجنس مذهبًا مذهب أهل الآثار ومتبعي السنن، وتقفوا على جهل من يسميهم مشبهة ؛ إذ الجهمية المعطلة جاهلون بالتشبيه، نحن نقول: الله جل وعلا له يدان كما أعلمنا الخالق البارئ في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ ، ونقول: كلتا يدي ربنا عز وجل يمين، على ما أخبر النبي ﷺ ، ونقول: إن الله عز وجل يقبض الأرض جميعًا بإحدى يديه، ويطوي السماء بيده الأخرى، وكلتا يديه يمينان لا شمال فيهما، ثم ذكر ابن خزيمة - رحمه الله تعالى - كلامًا طويلاً ملخصه: أن من أثبت لله تبارك وتعالى يدين عظيمتين يقبض الأرض بإحداهما ويطوي السماء بالأخرى، ويثبت لبني آدم أيدي ضعيفة مخلوقة لا تستطيع أن تقبض على أقل من شعرة واحدة من جزء من أجزاء كثيرة على أرض واحدة من سبع أرضين، ولو أن جميع من خلقهم الله تعالى من بني آدم إلى وقتنا هذا ومن قضى خلقهم إلى قيام الساعة تعاونوا كلهم على قبض أرض واحدة من الأرضين السبع بأيديهم كانوا عاجزين غير مستطيعين، وكذا لو اجتمعوا جميعًا على طي جزء من أجزاء سماء واحدة لم يقدروا على ذلك، وكانوا عاجزين عنه غير مستطيعين له، فكيف يكون - يا ذوي الحجا - من وصف يد خالقه بما بينا من القوة والأيد، ووصف يد المخلوقين بالضعف والعجز مشبهًا يد الخالق بيد المخلوقين ؟ أو كيف يكون مشبهًا من يثبت لله أصابع على ما بينه النبي المصطفى ﷺ للخالق البارئ، ويقول: "إن الله جل وعلا يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع" إلى آخر الحديث، ويقول: إن جميع بني آدم منذ خلق الله آدم إلى أن ينفخ في الصور لو اجتمعوا على إمساك جزء من أجزاء كثيرة من سماء من سماواته أو أرض من أرضيه السبع بجميع أبدانهم كانوا غير قادرين على ذلك ولا مستطيعين له، بل عاجزين عنه، فكيف يكون مشبهًا يدي ربه بيدي بني آدم. يقول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ فبهما خلق الله آدم عليه السلام، وبيده كتب التوراة لموسى عليه السلام، ويداه قديمتان لم تزالا باقيتين، وأيدي المخلوقين مخلوقة محدثة غير قديمة، فانية غير باقية، بالية تصير ميتة، ثم رميمًا، ثم ينشئه الله خلقًا آخر؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

فأي تشبيه يُنسَب لأصحابنا أيها العقلاء إذا أثبتوا للخالق ما أثبته لنفسه وأثبته له نبينا المصطفى ﷺ ، وقول هؤلاء المعطلة يوجب أن كل من يقرأ كتاب الله ويؤمن به إقرارًا باللسان، وتصديقًا بالقلب فهو مشبه ؛ لأن الله ما وصف نفسه في محكم تنزيله بزعم هذه الفرقة، فمن أقر بما وصف الله عز وجل به نفسه فهو يشبه الخالق بالمخلوق، فيجب على قول مقالتهم أن يكفر بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

وأطال في ذلك رحمه الله تعالى، ثم رد قول من يقول من الجهمية المعطلة: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي: نعمتاه، قال: وهذا تبديل لا تأويل، وكذا قول من قال منهم: إن معنى قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أي: بقوته، قال: وهذا من التبديل أيضًا، وهو جهل بلغة العرب، وأطال في رد مزاعم الجهمية ومن نحا نحوهم، فرحمه الله رحمة واسعة.

وأخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وشريك وأبو عوانة لا يحدِّدون ولا يشبِّهون، ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون: كيف. قال أبو داود: وهو قولنا. قال البيهقي: وعلى هذا مضى أكابرنا.

وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني - تلميذ أبي حنيفة رحمة الله على أئمتنا جميعًا - قال: "اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب، من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسَّر شيئًا منها، وقال بقول جهم؛ فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وفارق الجماعة؛ لأنه وصف الرب بصفة لا شيء".

وأخرج ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول: "لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا ردُّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يُدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر، فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ .

وساق الحافظ في ذلك ما ورد عن الأوزاعي ومالك والثوري والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، وما نقله الترمذي في جامعه عنهم جميعًا. ثم نقل قول ابن عبد البر: أهل السنة مُجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يكيِّفوا شيئًا منها، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا: مَن أقرَّ بها فهو مشبِّه، فسماهم من أقرَّ بها معطلة.

قال الحافظ: تقدم النقل عن أهل العصر الثالث، وهم فقهاء الأمصار كالثوري والأوزاعي ومالك والليث ومن عاصرهم، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة، وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله أولاً وآخرًا.

وللحديث بقية إن شاء الله.



مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٢٠٧٨- عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ، قال: قُلْتُ لأَبِي: يَا أَبَةِ، إِنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ خَلْفَ رَسُولِ £ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هَا هُنَا بِالْكُوفَةِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِ سِنِينَ، أَكَانُوا يَقْنُتُونَ؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ مُحْدَثٌ. ت (٤٠٢) حم (٢٦٦٦٧، ١٥٤٤٩)، جه (١٢٤١)، ش(٧٠٢٩) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٧٩- عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِيِّ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «إِذَا قَامَ الرَّجُلُ إِلَى الصَّلاَةِ، أَوْ إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلاَ يَبْزُقْ أَمَامَهُ وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ تِلْقَاءِ يَسَارِهِ إِنْ كَانَ فَارِغًا أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى ثُمَّ لِيَقُلْ بِهِ». د(٤٧٨)، حم (٢٦٦٧٨، ٢٦٦٧٩)، ن(٧٢٦) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٠٨٠- عَنْ عَامِرِ بْنِ شَهْرٍ، رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ كَلِمَتَيْنِ: مِنَ النَّبِيِّ £ كَلِمَةً، وَمِنَ النَّجَاشِيِّ أُخْرَى، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ £ يَقُولُ: «انْظُرُوا قُرَيْشًا، فَخُذُوا مِنْ قَوْلِهِمْ، وَذَرُوا فِعْلَهُمْ»، وَكُنْتُ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ جَالِسًا، فَجَاءَ ابْنُهُ مِنَ الْكُتَّابِ، فَقَرَأَ آيَةً مِنَ الإِنْجِيلِ، فَعَرَفْتُهَا أَوْ فَهِمْتُهَا، فَضَحِكْتُ، فَقَالَ: مِمَّ تَضْحَكُ؟ أَمِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَنَّ اللَّعْنَةَ تَكُونُ فِي الأَرْضِ إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُهَا الصِّبْيَانَ. حم (١٥١٠٨) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٨١- عَنْ عَبَّادِ بْنِ شُرَحْبِيلَ، رضي الله عنه قَالَ: أَصَابَتْنِي سَنَةٌ، فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَفَرَكْتُ سُنْبُلاً فَأَكَلْتُ، وَحَمَلْتُ فِي ثَوْبِي، فَجَاءَ صَاحِبُهُ فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ ثَوْبِي، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ £ فَقَالَ لَهُ: «مَا عَلَّمْتَ إِذْ كَانَ جَاهِلاً، وَلاَ أَطْعَمْتَ إِذْ كَانَ جَائِعًا»، أَوْ قَالَ: «سَاغِبًا»، وَأَمَرَهُ فَرَدَّ عَلَيَّ ثَوْبِي، وَأَعْطَانِي وَسْقًا أَوْ نِصْفَ وَسْقٍ مِنْ طَعَامٍ. د (٢٦٢٠)، حم (١٧٠٦٧)، ن (٥٤٠٩)، جه (٢٢٩٨) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٨٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الأَرْقَمِ رضي الله عنه قَالَ: أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَأَخَذَ بِيَدِ رَجُلٍ فَقَدَّمَهُ وَكَانَ إِمَامَ قَوْمِهِ، وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله £ يقولُ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ وَوَجَدَ أَحَدُكُمُ الْخَلاَءَ فَلْيَبْدَأْ بِالْخَلاَءِ». ت(١٤٢)، د(٨٨) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٠٨٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: هَلْ كُنْتُمْ تُخَمِّسُونَ، يَعْنِي الطَّعَامَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ £ ، فَقَالَ: «أَصَبْنَا طَعَامًا يَوْمَ خَيْبَرَ فَكَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ فَيَأْخُذُ مِنْهُ مِقْدَارَ مَا يَكْفِيهِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ». د(٢٣٣٣) هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

٢٠٨٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الزُّبَيْدِيِّ رضي الله عنه، يَقُولُ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ £ يَقُولُ: «لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ حَدَّثَ النَّاسَ بِذَلِكَ». جه (٣١٧)، حم (١٧٧٤٧) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٨٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ £ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: لاَ تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: ادْعُوا لِي الْحَلاَّقَ، فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا». د(٤١٩٢)، حم (١٧٥٥٣)، ن(٥٢٢٧) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٨٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ كَانَ «يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ». ت (٤٧٨) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٨٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ رضي الله عنه، قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ £ يُصَلِّي يَوْمَ الْفَتْحِ وَوَضَعَ نَعْلَيْهِ عَنْ يَسَارِهِ». د(٦٤٨)، ن (٧٧٦)، جه (١٤٣١) هذا حديث صحيح ورجاله رجال الصحيح.

٢٠٨٨- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ £ ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ رَجُلٌ يَصُومُ الدَّهْرَ، قَالَ: «لاَ صَامَ وَلاَ أَفْطَرَ». ن (٢٣٨٠)، جه (١٧٠٥)، حم (١٥٨٦٩، ١٥٨٧٣، ١٥٨٨٠، ١٥٨٨٣، ١٥٨٨٥) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٨٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه قَالَ: «انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ £ ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: السَّيِّدُ اللَّهُ، قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً، فَقَالَ: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». د(٤٠٠٤) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٩٠- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ £ قَالَ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ فِي يَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا يَقُولُ: يَا رَبِّ، قَتَلَنِي حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ»، قَالَ: فَذَكَرُوا لاِبْنِ عَبَّاسٍ التَّوْبَةَ، فَتَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ﴾ قَالَ: مَا نُسِخَتْ مُنْذُ نَزَلَتْ، وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ». ن (٤٠٠٥)، ت(٣٠٢٩)، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٠٩١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ فِي الْحَجَرِ: «وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ». ت(٩٦١) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٩٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «اللَّهُمَّ أَذَقْتَ أَوَّلَ قُرَيْشٍ نَكَالاً، فَأَذِقْ آخِرَهُمْ نَوَالاً». ت (٣٩٠٨)، حم(٢١٧١)، هذا حديث حسن على شرط الشيخين.

٢٠٩٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ £ صَلَاةَ الْخَوْفِ بِذِي قَرَدٍ أَرْضٍ مِنْ أَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ، فَصَفَّ النَّاسُ خَلْفَهُ صَفَّيْنِ صَفٌّ مُوَازِي الْعَدُوِّ، وَصَفٌّ خَلْفَهُ، فَصَلَّى بِالصَّفِّ الَّذِي يَلِيهِ رَكْعَةً، ثُمَّ نَكَصَ هَؤُلَاءِ إِلَى مَصَافِّ هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ إِلَى مَصَافِّ هَؤُلَاءِ، فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَةً أُخْرَى». حم (٢٠٤٦)، ن(١٥٣٣)، هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٩٤- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ £ «يُصَلِّي، فَجَاءَتْ جَارِيَتَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَخَذَتَا بِرُكْبَتَيْهِ، فَفَرَّعَ بَيْنَهُمَا». حم (٢٠٩٦)، د(٧١٦)، ن(٧٥٤)، هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٩٥- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «مَا قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ £ قَوْمًا قَطُّ إِلَّا دَعَاهُمْ». حم (٢١٠٦)، هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٠٩٦- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ £ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَخَذَهُ طَعَامًا لِأَهْلِهِ». حم (٣٣٩٩)، هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

٢٠٩٧- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أُقِيمَتْ صَلَاةُ الصُّبْحِ، فَقَامَ رَجُلٌ يُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ، فَجَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ £ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ: «أَتُصَلِّي الصُّبْحَ أَرْبَعًا؟». حم (٢١٣١)، هذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢٠٩٨- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ قَالَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». ت(٢٦٤٥)، دي (٢٧٠٦)، هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

٢٠٩٩- عن ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «اعْرِفُوا أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّهُ لَا قُرْبَ لِرَحِمٍ إِذَا قُطِعَتْ، وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً، وَلَا بُعْدَ لَهَا إِذَا وُصِلَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً». ك (٤/١٦١،٨٩)، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مسلم.

٢١٠٠- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ £ سَمِعَ رَجُلًا، يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: «مَنْ شُبْرُمَةُ؟» قَالَ: أَخٌ لِي، أَوْ قَرِيبٌ لِي، قَالَ: «حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ». د (١٨١١)، جه (٢٩٠٣) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مسلم.

٢١٠١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ، وَإِنَّ خَيْرَ أَكْحَالِكُمُ الْإِثْمِدُ يَجْلُو الْبَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ». د (٣٨٧٨)، جه (٣٥٦٦)، حم (٢٢٢٠)، هَذَا حَدِيثٌ حسن عَلَى شَرْطِ مسلم.

٢١٠٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، سَأَلَ النَّبِيَّ £ ، فَقَالَ: إِنَّ أُخْتَهُ نَذَرَتْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَى الْبَيْتِ، وَشَكَا إِلَيْهِ ضَعْفَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ £ : «إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ نَذْرِ أُخْتِكَ، فَلْتَرْكَبْ وَلْتُهْدِ بَدَنَةً». حم (٢١٣٥، ٢١٤٠، ٢٢٧٨)، د (٣٣٠٣)، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ البخاري.

٢١٠٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ امْرَأَةً رَكِبَتِ الْبَحْرَ، فَنَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ أَنْ تَصُومَ شَهْرًا، فَنَجَّاهَا اللَّهُ، فَلَمْ تَصُمْ حَتَّى مَاتَتْ، فَجَاءَتِ ابْنَتُهَا، أَوْ أُخْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ £ ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَصُومَ عَنْهَا». د (٣٣٠٨)، ن (٤٧٣٩)، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشيخين.

٢١٠٤- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «بَعَثَنِي أَبِي إِلَى النَّبِيِّ £ فِي إِبِلٍ أَعْطَاهَا إِيَّاهُ مِنَ الصَّدَقَةِ» وفي رواية قال: ابْنَ عَبَّاسٍ، نَحْوَهُ، وَزَادَ «أَبِي يُبَدِّلُهَا لَهُ». د(١٦٥٣)، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشيخين.

٢١٠٥- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ £ كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا صُنِعَ الْمِنْبَرُ فَتَحَوَّلَ إِلَيْهِ، حَنَّ الْجِذْعُ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ £ فَاحْتَضَنَهُ، فَسَكَنَ، وَقَالَ: «لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». حم (٣٤٢٠)، جه (١٤١٥)، دي (٣٩)، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مسلم.

٢١٠٦- عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «لَا يُبَاعُ التَّمْرُ حَتَّى يُطْعَمَ». حم (٣٣١٥)، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشيخين.

٢١٠٧- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رَسُولَ اللَّهِ £ : «مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». حم (٣٠٢٩)، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مسلم.

٢١٠٨- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي أَوْ عَلَى مَنْكِبِي شَكَّ سَعِيدٌ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ». حم (٢٣٩٣، ٢٨٧٤)، هَذَا حَدِيثٌ حسن عَلَى شَرْطِ مسلم.



عيسى

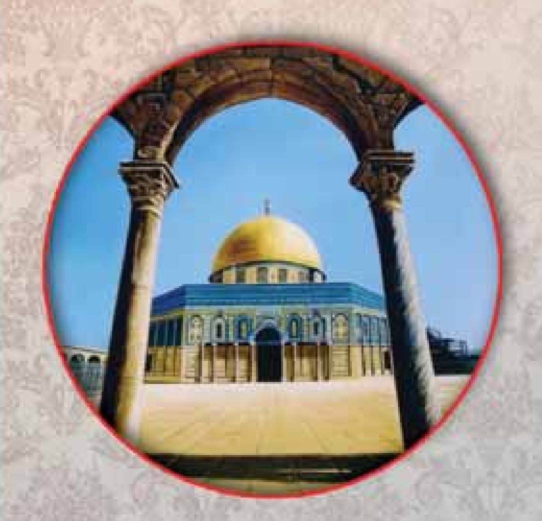
عليه السلام

الحلقة الأولى

نسبه الشريف

«ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون»

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد



الحمد لله الذي بيده الملك والملكوت، وله القوة والجبروت، يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد، إذا أراد أمرًا فإنما يقول له: كن فيكون، والصلاة والسلام على نبينا محمد المعصوم، وعلى أخيه عيسى الذي خلقه الله بكلمة «كن» «فيكون».

أخي المبارك: نحن اليوم أمام سيرة نبي مبارك متفرِّد عن جميع الأنبياء، بل عن جميع الخلق، صاحبَتْه المعجزات من اللحظة الأولى لتكوينه في رحم أمِّه، بالأمر الإلهي المباشر دونما واسطة بشر، وصاحبَتْه الآيات (المعجزات) في أيام وشهور حمله، وفي لحظة ولادته، بل وهو في المهد صبيًا، ثم حين أُرسل رسولاً نبيًا، ثم حين رفعه الله إليه في السماء وجعله هناك، وبوَّأه منزلاً عليًا، بل سيصاحبه الإعجاز حين يعيده الله إلى الدنيا قبل موته فيخبرُ الناسَ بحقيقته، ويُبين لهم الذي اختلفوا فيه، ولا يقبل منهم إلا الإسلام أو الجزية، ويخبرهم أنه من أتباع دين محمد النبيِّ الأميِّ، ولا يقبل منهم إلا اتخاذ (أحمد نبيًا).

نعم نحن أمام نبي جعله الله وأمَّه آية للناس، ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يجادلون بغير سلطان أتاهم، بل يخالفون ما أتاهم، ولا يتبعون غير شيطانهم وهواهم، عرف اليهود الحق في شأن عيسى فأنكروه وحرَّفوه، وضلَّ النصارى حين اتبعوه، وهدى الله المسلمين إلى الحق فعرفوه، نسأل الله العون على بيانه.

أولاً: بين تفريط اليهود وإفراط النصارى

أ- قول اليهود في عيسى ابن مريم:

اتهم اليهود مريم في ولدها، وقالوا عليها بهتانًا عظيمًا، وأنكروا نبوة عيسى وحاربوه، وحاولوا قتله، بل زعموا أنهم قتلوه، وصلبوه، وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبِّه لهم، وما قتلوه يقينًا بل رفعه الله إليه، وسيعيده قبل يوم القيامة حكمًا عدلاً.

ب- مقالة النصارى:

أما النصارى فقد قالوا قولاً إدًا تكاد السماوات يتفطرن منه، وتخر الجبال هدًا، قالوا عن عيسى: إنه الله، أو إنه ابن الله، أو ثالث ثلاثة على اختلاف بينهم في ذلك، فقد اختلفوا وقالوا قولاً لا يوافقُ عقلاً سليمًا، ولا نقلاً صحيحًا، ضلالات بعضها فوق بعض لا تكاد ترى نور الحقيقة من شدَّة ظلمتها، وسأبينها بضوء الحق، وسوف نكشفها جميعًا، إن شاء الله، ولكننا اليوم سنقف مع قطرة منها يسيرة، فبينما هم يقولون عن المسيح ما يقولون تنسبه أناجيلهم إلى يوسف النجار بالعار.

جـ- نسب المسيح في إنجيل متى:

هو يسوع بن يوسف النجار بن هالي بن لاوي بن ملكي.. إلى أن ينتهي إلى إبراهيم عليه السلام، ولا أكاد أفهم أو يفهم عاقل في الدنيا كيف يقولون عن

عيسى أو يسوع يسمونه إنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة!! تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، ثم ينسبونه إلى بشر، وهو يوسف النجار؟! بينما تعترف أناجيلهم أن يوسف النجار كان من شباب اليهود الصالحين؛ عاش عيشة الطهر والعفاف، ثم خطب مريم ولم يتمَّ بينهما التقاء أو زواج، كما في إنجيل متى (١ – ٢٠).

كيف لا يتم بينهما لقاء أو معاشرة جنسية، ثم ينسبون عيسى ليوسف النجار، وكيف ينسبون (عيسى) إلى يوسف النجار، ثم يقولون هو الله أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة (ولا حول ولا قوة إلا بالله). ما هذا التناقض الغريب؟!!

هذا ومن ناحية أخرى إذا تأملت في نسب المسيح الظاهر، والمكتوب سابقًا في الإنجيلين (لوقا ومتى) تجد بينهما تناقضًا واضحًا كما يلي:

فإنجيل لوقا يقول: «إن يوسف بن هالي».

وإنجيل متى يقول: «إن يوسف بن يعقوب».

وإذا تابعنا النسب تفصيليًا نجد تناقضات كثيرة يطول وقوفنا معها، وليس هذا موضعها، والحقيقة هي تناقضات بعضها فوق بعض، ونريد الآن أن نعيش مع الحقيقة كما جاء بها كتاب الله تبارك وتعالى.

فهذا عيسى عليه السلام، وهذه أمه الصديقة كما جاء في القرآن الكريم.

ثانيًا: نسبه كما جاء في القرآن الكريم

هو عيسى ابن مريم، عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه (أي: من خلقه، وليست «من» هنا للتبعيض، ولكن لابتداء الغاية)، خلقه الله بالأمر الكوني «كن»، فكان من أمه بغير أب، وفي ذلك بيان القدرة الإلهية، وكمالها، وحكمتها في تنوع أنواع الخلق، فخلَق سبحانه آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من أب بغير أم، وخلَق عيسى من أم بغير أب، وخلقنا من أب وأم، فكملت بذلك جوانب الخلق الأربعة، ولله الحكمة البالغة والمشيئة القادرة، يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤]، ذكر الله سبحانه ذلك تعقيبًا على قصة مريم، وبيان وجه الصواب في ذلك، وسيكون لنا معها وقفة مطولة بعون الله بعد ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

نحن أمام نبي جعله الله وأمَّه آية للناس، ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يجادلون بغير سلطان أتاهم، بل يخالفون ما أتاهم، ولا يتبعون غير شيطانهم وهواهم، عرف اليهود الحق في شأن عيسى فأنكروه وحرَّفوه، وضلَّ النصارى حين اتبعوه، وهدى الله المسلمين إلى الحق فعرفوه

وهذا كثير في القرآن، فعيسى ابن مريم رسول الله، وهو من أولي العزم، وهو عبد أنعم الله عليه وعلى أمه، وقد نسبه الله إلى أمِّه من غير أب، فمن هي أمه كما جاء ذكْرها في القرآن والسنة النبوية الشريفة؟ وهذا البيان أصبح من الأهمية بمكان بعد أن نال منها اليهود واتهموها، وبالغ في أمرها النصارى، فهذا إفراط، وذلك تفريط، فما القول الفصل؟

ثالثًا: مكانة مريم في الإسلام

– شأن الله مع أنبيائه أن يختارهم من أوسط الناس نسبًا، وأنفسهِم معدنًا، فقد اختار الله لنبيه عيسى الوعاء الطاهر الذي يحمله، والنسب الشريف الذي ينتمي إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ . ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤].

قال ابن كثير رحمه الله: «يذكر الله تعالى أنه اصطفى آدم عليه السلام، والخُلَّص من ذريته، المتبعين شرعه، الملازمين لطاعته، ثم خصَّص فقال: ﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾، فدخل فيهم بنو إسماعيل، ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب، وهم آل عمران، والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام. اهـ.

فآدم أبو البشر الأول، ونوح أبو البشر الثاني، وإبراهيم أبو الأنبياء الذين جاءوا من بعده من ذرية إسماعيل وإسحاق، عليهم جميعًا السلام.

وعمران يعود نسبه إلى يعقوب، ثم إلى إبراهيم، وخصَّص الله بيته بالذكر هنا تمهيداً للحديث عن مريم، وشرفها ومكانتها، والبيئة الصالحة التي نشأت فيها، لذا قال بعد ذلك مباشرة: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا

> اتهم اليهود مريم في ولدها، وقالوا عليها بهتانًا عظيمًا، وأنكروا نبوة عيسى وحاربوه، وحاولوا قتله، بل زعموا أنهم قتلوه، وصلبوه، وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبّه لهم، وما قتلوه يقينًا بل رفعه الله إليه، وسيعيده قبل يوم القيامة حكمًا عدلًا

قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥- ٣٦].

وامرأة عمران هي حنَّة بنت فاقود بن قبيل وهي زوجة صالحة، وامرأة ورعة عابدة تحب الله حبًا صادقًا، والدليل على ذلك أنها لما شعرت بالحمل نذرت ما في بطنها لخدمة بيت المقدس خالصة لله، وتوجهت إلى ربها ضارعة أن يتقبل منها نذرها، وأن يجعله صالحًا خالصًا، وكان من عادة هؤلاء الصالحين أن يجعلوا أبناءهم الذكور في خدمة بيت الله، وهو بيت المقدس، لكن امرأة عمران فوجئت بأن المولود أنثى، وهي كانت تريد ذكرًا، فذلك أنسب لخدمة بيت الله، وكأنها تألمت لذلك فعبرت عنه ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٦، ٣٧].

فاعتذرت أم مريم عن كونها أنثى، ومع ذلك وهبتها لبيت الله، ودعت ربها أن يحفظها وذريتها من الشيطان الرجيم، وجاءت الجملة الاعتراضية في موضعها المناسب: «والله أعلم بما وضعت»، وكأن الله يقول: لا تحزني يا أم مريم، فالله سبحانه يعلم أنها أنثى، بل هو سبحانه جعلها أنثى لحكمة أرادها وأمر سيبديه في حينه، والله عز وجل إذا أراد أمرًا هيأ له أسبابه، وقد وافقت دعوة أم مريم قدر الله السابق حين قالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، فتقبلها ربها بقبول حسن، وأنبتها نباتًا حسنًا، وكفَّلها زكريا، استجاب الله دعوة أم مريم وقبل منها نذرها، وحفظ مريم ونسلها من شياطين الجن والإنس، وعاشت مريم في كنف بيت الله، وفي كفالة نبي من أنبياء الله، ونشأت طاهرة في بيئة طاهرة، وجاء في الحديث الذي أخرجه أحمد ومسلم رحمهما الله عن النبي £ قال: «كل مولود من بني آدم يمسُّه الشيطان بإصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى» [مسلم ٦٢٨٢].

والحديث جاء بروايات متعددة وصيغ مختلفة حول ذات المعنى، وهذا من ثمرة الدعاء المبارك الذي دعته أم مريم، واستجاب الله لها، وهكذا حفظ الله المحضن الذي نبت فيه نبيه عيسى من كل شر.

رابعًا: اصطفاء مريم على نساء العالمين

قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ . يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢- ٤٣]. فهذا اصطفاء واصطفاء واصطفاء: في النشأة والتكوين، والطهر فيها، وفي البيئة المحيطة بها، ثم اصطفاء آخر لتكون أول امرأة في العالم (بل وآخر امرأة، فهذا الأمر لم ولن يحدث لأحد قبلها ولا بعدها) تحمل بغير زوج، لكن بالأمر الإلهي: «كن»، فتلد آخر أنبياء بني إسرائيل نبيًا، ورسولاً من أولي العزم، ليجعلها الله هي وابنها آية للعالمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

وعن أنس رضي الله عنه: قال £ : «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون».

[أحمد ١٢٤١٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٣١٤٣].

والحديث له روايات كثيرة مع تقديم وتأخير في بعض الألفاظ، أخرجه أحمد وغيره.

والأحاديث في فضل مريم كثيرة، نكتفي بهذا القدر الذي ظهر فيه بوضوح فضل الله على عيسى ابن مريم، كما هو فضله سبحانه على جميع أنبيائه ورسله وسائر خلقه؛ حيث اقتضت حكمته أن يختار رسله وأنبياءه من خيرة خلقه، وهذا عيسى ابن مريم رسول الله لما كانت نسبته إلى أمِّه فقد اصطفاها مولاها، وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، فقد ظهر الحق الذي فيه يمترون ويشكون ويجادلون بغير سلطان إلا من هوى أنفسهم ووحي شياطينهم، وهذا عيسى ابن مريم وأمه الصديقة قد رفع الله ذكرهما وزكى نسبهما، ونحن على ذلك من الشاهدين، فالحمد لله رب العالمين، وإلى لقاء قادم مع مولد عيسى عليه السلام، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

لا إله إلا الله

إذا كان الإيمان بوابة الطريق إلى الجنة، فإن التوحيد - وهو لبُّ الإيمان - مفتاح الجنة، وكلمة التوحيد لا إله إلا الله مفتاح الجنة.

ثبت عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة». وهذا حديث متواتر تواترًا معنويًا، وقد أورده السيوطي في «الأزهار المتناثرة» من رواية أربعة وثلاثين نفسًا. لكن جاء في بعض رواياته «وجبت له الجنة» وفي بعضها «دخل الجنة»، وفي بعضها «حرَّم الله عليه النار» وكلها بمعنًى.

فقد روى مسلم في صحيحه في باب: أَوَّلُ الإِيمَانِ قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَمِّ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ». فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾. وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] [البخاري ١٣٦٠، ومسلم: ٢٥].

فضل شهادة أن لا إله إلا الله

هذه الكلمة هي سبيل الفوز بالجنة، والنجاة من النار، قال الحكمي رحمه الله في سلم الوصول:

وقد حوته لفظة الشهاده
فهي سبيل الفوز والسعاده
من قالها معتقدًا معناها
وكان عاملاً بمقتضاها
في القول والفعل ومات مؤمنًا
يبعث يوم الحشر ناج آمنًا

وقال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وهي سبيل السعادة في الدارين، لا وصول إليها إلا بهذه الكلمة، فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، ولأجلها خُلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تُؤخَذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخفّ، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار، وبها أخذ الله الميثاق، وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنها السؤال يوم التلاق؛ إذ يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وهي أعظم نعمة أنعم الله عز وجل بها على عباده أن هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة التوحيد والنعم، فقدمها أولاً قبل كل نعمة فقال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ

مفتاح الجنة

إعداد: د/ جمال المراكبي

رئيس مجلس علماء الجماعة

تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ . خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ . وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ . وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ . وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ . وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ" [النحل:١-٩].

وهي كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، متشعبة منها، مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها، وهي العروة الوثقى التي قال الله عز وجل فيها: "فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا" [البقرة: ٢٥٦] قاله سعيد بن جبير والضحاك.

وهي العهد الذي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول: "لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا" [مريم: ٨٧] قال ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: هو شهادة أن لا إله إلا الله، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله، وأن لا يرجو إلا الله عز وجل.

وهي الحسنى التي قال الله عز وجل: "فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى" [الليل:٥-٧] الآيات، قاله أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك، ورواه عطية العوفي عن ابن عباس.

وهي كلمة الحق التي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول تعالى: "إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" [الزخرف: ٦٨] قال ذلك البغوي.

وهي كلمة التقوى التي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول: "وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا" [الفتح: ٢٦] روى ذلك ابن جرير وعبد الله بن أحمد، والترمذي بأسانيدهم إلى أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وهي القول الثابت الذي ذكر الله عز وجل: "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ" [إبراهيم: ٢٧] أخرجاه في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلاً قبل ذلك؛ إذ يقول تعالى: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ" [إبراهيم: ٢٤]، قاله علي بن طلحة عن ابن عباس: أصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها العمل الصالح في السماء، صاعد إلى الله عز وجل، وكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير، وعكرمة ومجاهد، وغير واحد.

وهي الحسنة التي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول: "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا" [الأنعام: ١٦٠]، وقال تعالى: "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ" [النمل:٨٩] قال ذلك زين العابدين وإبراهيم النخعي.

وعن أبي ذر مرفوعًا: «هي أحسن الحسنات، وهي تمحو الذنوب والخطايا».

وهي المثل الأعلى الذي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول: "وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [الروم:٢٧] قال ذلك قتادة ومحمد بن جرير، ورواه مالك عن محمد بن المنكدر.

وهي سبب النجاة من النار كما في صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه £ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِلاَّ أَغَارَ، فَسَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه £ «عَلَى الْفِطْرَةِ». ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه £ «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ». فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزًى.

وفيه عَنِ الصُّنَابِحِيِّ قَالَ: دخلت على عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَهْلاً لِمَ تَبْكِي فَوَاللَّه لَئِنِ اسْتُشْهِدْتُ لأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنِ اسْتَطَعْتُ لأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّه مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّه £ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلاَّ حَدَّثْتُكُمُوهُ إِلاَّ حَدِيثًا وَاحِدًا، وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ، وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه £ يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ» [مسلم ٣٠].

وفيه أيضًا عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِك أَنَّ نَبِيَّ اللَّه £ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّه وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّه وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّه وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا». فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا. [البخاري ١٢٨، ومسلم ٣٥].

وفي حديث الشفاعة الطويل: «أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» [البخاري: ٧٤١٠]

وهي سبب دخول الجنة كما في الصحيحين عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه £ : «مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّه وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ». وفي رواية: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ» [مسلم ٣٠].

وعَنْ عُثْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه £ : «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». [مسلم ٢٨].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ £ فِي مَسِيرٍ -قَالَ- فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ قَالَ حَتَّى هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ -قَالَ- فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ، فَدَعَوْتَ اللَّهَ عَلَيْهَا. قَالَ فَفَعَلَ -قَالَ- فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ، وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ -قَالَ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ- قُلْتُ: وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى؟ قَالَ: كَانُوا يَمُصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ. قَالَ فَدَعَا عَلَيْهَا -قَالَ- حَتَّى مَلأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ -قَالَ- فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لاَ يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ» [مسلم ٢٩].

وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ -شَكَّ الأَعْمَشُ- قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «افْعَلُوا». قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «نَعَمْ». قَالَ فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ -قَالَ-: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ -قَالَ-: وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفٍّ

عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»

تَمْرٍ - قَالَ- وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكِسْرَةٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ -قَالَ-: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ £ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ». قَالَ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلاَّ مَلأُوهُ -قَالَ-: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لاَ يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ» [مسلم ٣٠].

وعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ £ ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ £ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ £ ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدُرْتُ بِهِ، هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ، وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ £ ، فَقَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهَؤُلاَءِ النَّاسُ وَرَائِي، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ: اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلاَنِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلاَ رَسُولِ اللَّهِ £ ، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَخَرَرْتُ لاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ £ ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ £ : مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لاسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، «مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : فَخَلِّهِمْ» [مسلم ٣٤].

وهي أفضل ما ذُكرَ الله عز وجل به، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، كما في المسند عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي £ : «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا عليه السلام لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» [أحمد ٦٥٤٧، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ٤٢٦].

لا إله إلا الله هي أفضل ما ذكر الله عز وجل به، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة وهي أعلى شعب الإيمان

وفي المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله £ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لاَ، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لاَ، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لاَ

ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، وَلاَ يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» [أحمد ٦٩٥٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٧٦].

وهي أعلى شعب الإيمان كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» [البخاري: ٩، مسلم ٣٥].

ولهذا كان رسول الله يبدأ بها في الدعوة إلى الله، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاذًا قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» [البخاري: ٢٤٤٨، مسلم ١٩].

وهي الكلمة التي أمر النبي بقتال من أباها ورفضها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي، مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً، كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ» [البخاري: ١٣٩٩، مسلم ٢٠].

وعن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» [البخاري ٢٩٤٦].

وعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾. [البخاري: ٢٩٤٦ مسلم ٢١].

وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نلقِّن موتانا عند الاحتضار: لا إله إلا الله، فعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله («لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنه من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة» [صححه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٥١]

وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نلقّن موتانا عند الاحتضار : لا إله إلا الله، فعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنه من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله دخل الجنة»

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا من أهلها والقائمين بحقوقها، وأن يحيينا عليها، ويتوفانا عليها، وأن يجمعنا بها مع خاصة أوليائه وأصفيائه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الحادية عشرة

أثر السياق في فهم النص

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

لقد ذكرنا من قبل أن للسياق دورًا كبيرًا ومؤثرًا في توجيه دلالات الأمر والنهي، وانتهينا - بفضل الله - من بيان أهمية القرائن السياقية في دلالات الأمر، وننتقل إلى أهمية القرائن السياقية في بيان دلالات النهي المختلفة.

أولاً: تعريف النهي

لغةً: هو المنع، يقال: نهاه عن كذا، أي: منعه منه.

لذا سمي العقل نُهية، وجمعه: نُهًى؛ لأن العقل يمنع صاحبه من الخطأ غالبًا، ومنه قوله ﷺ : «لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى». [مسلم ٤٣٥].

واصطلاحًا: هو القول الإنشائي الدالّ على طلب كفٍّ عن فعل على جهة الاستعلاء (على جهة الاستعلاء: أي إن الناهي يكون أعلى من المنهي).

[إرشاد الفحول للشوكاني ١ / ٢٣٠، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله: د. عياض السلمي١/ ١٩٠، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد: لعبد القادر بن بدران ١ / ١١٣].

ثانيًا: الصيغ الدالة على النهي

توجد صيغة واحدة متفق على كونها تدل على النهي، وهي صيغة: لا تفعل، كمثل قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

فالشاهد قوله: ﴿ولا تتبع﴾ فإن هذا مضارع مقرون بلا الناهية. [شرح الأصول من علم الأصول لابن عثيمين ١٧٣].

- وأضاف بعضهم إلى: «لا تفعل» من أسماء الأفعال مثل: مه: أي لا تفعل، صه: أي لا تتكلم.

- وهناك صيغ كثيرة يُعرف بها النهي عن الفعل، ومنها:

اللعن: لعن الله أو رسوله ﷺ للفاعل، مثل قوله ﷺ : «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». [البخاري ١٣٩٠، ومسلم ٥٣١].

وقوله ﷺ : «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ..» [البخاري: ٥٩٤٨].

- الخبر، وذلك في الجمل الخبرية التي وردت بلفظ التحريم، مثل قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣].

- توعُّد الفاعل بالعقاب: مثل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨].

- إيجاب الحد على الفاعل: مثل قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢].

- وصف العمل بأنه من صفات المنافقين أو من صفات الكفار:

مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء: ١٤٢].

نفي الحل: كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾ [النساء: ١٨].

- لفظ النهي: وهذا اللفظ جاءت به أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ ، كحديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع». [البخاري ٥٥٣٠، ومسلم ١٩٣٤].

وحديث جابر رضي الله عنه: «نهى رسول الله ﷺ أن يُبال في الماء الراكد». [مسلم ٢٨١].

وقد يستفاد النهي من بعض صيغ الأمر مثل:

دع، ذر، اترك، كف، اجتنب، وما أشبهها، وهذا أمر بالترك وإن كان لا يُسمى نهيًا؛ لأنه لم يأت بصيغة النهي المخصوصة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٨]. ذروا: لا تأخذوا، فمع كونها أفادت النهي إلا أنها لا تسمى نهيًا، بل هي أمر بالترك.

ومثل حديث النبي £ : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». [الترمذي ٢٥١٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٣٧٧].

ومثل حديث النبي £ لمعاذ رضي الله عنه: لما أخذ النبي £ بلسانه، وقال: «كف عليك هذا». [الترمذي ٢٦١٦، وحسنه الألباني في الإرواء ٢ / ١٣٨].

فهذه الصيغ وغيرها وإن تضمنت طلب الكفّ، فإنها بصيغة الأمر فتكون أمرًا لا نهيًا، والموجّه لهذه الصيغ وغيرها هي القرائن السياقية، وفي الأمثلة التي ضربناها، كانت القرائن اللفظية المتصلة هي الموضحة لفهم المعنى المراد. [شرح الأصول لابن عثيمين ١٧٢- ١٧٥، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، د. عياض السلمي ١ / ١٩٠ - ١٩١، شرح الورقات للفوزان ١ / ٤٧، إرشاد الفحول ٣ / ٤٩٠].

ثالثًا: في الموازنة بين النهي والأمر

فالأمر اقتضاءُ فِعْلٍ، والنهي اقتضاءُ كفٍّ عن فعْلٍ، والأمر ظاهرٌ في الوجوب واحتمالِ الندب، والنهي ظاهرٌ في التحريم مع احتمال الكراهة، وصيغة الأمر: افعل، وصيغة النهي: لا تفعل.

والنهي يلزم التكرار والفور، والأمر يلزمانه على الخلاف فيه.

والأمر يقتضي صحة المأمور به، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه، وكما يخرج عن عهدة المأمور به بفعله، كذلك يخرج عن عهدة المنهي عنه بتركه. (وهذا على سبيل الإجمال). [المدخل إلى مذهب أحمد، لعبد القادر بن بدران ١ / ١١٣].

والأمر يقتضي صحة المأمور به، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه، وكما يخرج عن عهدة المأمور به بفعله، كذلك يخرج عن عهدة المنهي عنه بتركه.

رابعًا: من معاني النهي

وقد يأتي النهي بصيغة الفعل المضارع المسبوق بـ «لا» الناهية – ومع ذلك لا يفيد النهي–

وهذا نعرفه من قرائن السياق اللفظية، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فالسياق يبين أن المقصود الدعاء.

– وفي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٠]. والنهي هنا في قوله: (لا تسألوا) والسياق يوضح أن النهي للإرشاد.

– وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ [طه: ١٣١] ففي قوله: (ولا تمدن): السياق يوضح أن النهي للتحقير.

– قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ﴾ النهي هنا للتأييس، وهكذا.

خامسًا: الأصل في النهي

– هناك نهي مقيد، ونهي مطلق.

أما النهي المقيد الذي صحبته قرينة، فهو يُحمل على قرينته، فإن كانت القرينة تدل على التحريم يُحمل على التحريم باتفاق، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، فوصفه بأنه فاحشة، وأنه طريق بلغ غاية السوء، دليل على تحريمه.

– وإذا جاءت قرينة تدل على الكراهة يُحمَل عليها، مثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي £ قال: «لا يمشِ أحدكم في نعل واحدة، ليحفهما جميعًا أو لينعلهما جميعًا». [البخاري ٥٨٥٥].

– فالنهي عن المشي بنعل واحدة حُمِل على التنزيه والكراهة؛ لأنه إرشاد وتوجيه إلى الأفضل والأكمل، وللمحافظة على سلامة الشخص من السقوط، وقيل: لأنه لم يعدل بين جوارحه، وهو من باب المثلة. [شرح البخاري لابن بطال ١٧ / ١٥٢، وأصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ١ / ١٩١].

ومثلوا لذلك أيضًا بحديث النبي £ الذي رواه أبو قتادة رضي الله عنه: «لاَ يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ». [متفق عليه].

فقد قال الجمهور: إن النهي هنا للكراهة؛ لأن الذكر بَضْعَة من الإنسان. [فتح الباري لابن حجر ١ / ٢٥٣-٢٥٤]، والحكمة من النهي تنزيه اليمين.

فالرسول £ نهى عن

مسّ الرجل ذكره بيمينه وهو يبول، فمفهومه: أن مسه بشماله جائز لم يُنْهَ عنه، وإن مسه بيمينه في غير حال البول جائز؛ لأن الأصل في الحال أنها قيد في صاحب الحال.

وقال بعض العلماء: بل لا يجوز من باب أوْلى؛ لأنه إذا نهى عن مسِّه حال البول والإنسان قد يحتاج إليه، ففي غير حال البول من باب أوْلى.

والآخرون قالوا: لا نهي عن مس الذكر إلا في حال البول؛ لأنه لا يؤمن من تلوث اليد بالبول، فربما يحصل ارتجاع يسير، فينتشر البول ويصيب يدك، أو ربما تريد أن تمسكه وتزل يدك إلى محل مخرج البول فتتلوث بالبول، فالنهي عن حال البول يدل على أنه يجوز في غير حال البول.

قال الشيخ ابن عثيمين [في الشرح الممتع ١ / ٩٧]: «وكلا الاستدلالين له وجه، والاحتمالان واردان، والأحوط أن يتجنب مسه مطلقًا، ولكن الجزم بالكراهة إنما هو في حال البول، للحديث، وفي غير حال البول محل احتمال، فإذا لم يكن هناك داعٍ ففي اليد اليسرى غُنْيَة عن اليد اليمنى، وتعليل الكراهة: أنه من باب إكرام اليمين.

لكن ما القرينة على أن النهي في حديث النبي £ للكراهة وليس للتحريم؟

قالوا: لأن الذَّكر بَضْعَة من الإنسان، وكيف يحرم على الإنسان أن يمسَّ ما هو بضعة منه، ويؤيد هذا حديث طلق بن علي حين سأل النبي £ عن مسّ الذكر هل عليه الوضوء؟ فقال النبي £ : «إنما هو بَضْعَة منك». [النسائي ١٦٥، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ١٦٥].

وأما النهي المطلق (المجرد)

وهو النهي الذي لم تصحبه قرينة تدل على أنه للكراهة أو التحريم، فقد اختلف أهل العلم فيه، فذهبت جماهير العلماء إلى أنه يُحمَل على التحريم، وذهب غيرهم إلى أنه يُحمَل على الكراهة؛ لأن الأصل براءة الذمة وعدم الإثم.

وإذا قلت: إن النهي يقتضي التحريم لزم من قولك أن من فعله فهو آثم ومعاقب، والأصل البراءة وعدم العقاب.

قُلْتُ: إن القرائن السياقية، سواء المتصلة بالنص أو المنفصلة عنه، عمومها وخصوصها، ترشِّح وترجِّح قول الجمهور أن الأصل في النهي المطلق: التحريم.

فعلى العموم نقول: إن أوامر الله ورسوله ونواهيه كلها على الندب في الأوامر، والكراهية في النواهي بمعنى إن شئت فافعل وإن شئت فلا تفعل، وقد أوجب الله علينا طاعته وطاعة رسوله £ ، ولازمُ الطاعة العملُ بمقتضى الأوامر والنواهي، وإلا فقد فُرِّغتِ الطاعة من مقتضاها.

أوامر الله ورسوله ونواهيه كلها على الندب في الأوامر، والكراهية في النواهي بمعنى إن شئت فافعل وإن شئت فلا تفعل، وقد أوجب الله علينا طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، ولازم الطاعة العمل بمقتضى الأوامر والنواهي، وإلا فقد فرّغت الطاعة من مقتضاها.

يقول ابن حزم: أوامر الله تعالى ورسوله كلها فرض، ونواهي الله تعالى ورسوله كلها تحريم، ولا يحل لأحد أن يقول في شيء منها هذا ندب أو كراهية، إلا بنص صحيح مبيِّن لذلك أو إجماع.

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فمن قال هذا الأمر ندب، وهذا النهي كراهية، فإنما يقول ليس عليكم أن تطيعوا هذا الأمر ولا هذا النهي، وهذا خلاف لله عز وجل. [النبذة الكافية في أحكام أصول الدين لابن حزم ١ / ٤٣-٤٤].

ويقول الإمام الشافعي: «أصل النهي من رسول الله £ أن كل ما نهى عنه فهو محرم حتى يأتي عنه دلالة تدل على أنه إنما نهى عنه لمعنًى غير التحريم». [الأم للشافعي ٧ / ٣٠٥].

وهذا على العموم، أما على الخصوص فيُنظر في كل نهي على حدة، وما يحفّ به من قرائن السياق كما سنرى.

الأدلة على أن النهي يُحمَل على التحريم

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر بالانتهاء عما نهى عنه رسوله £ ؛ (فانتهوا): فعل أمر، وفعل الأمر -كما سبق- يقتضي الوجوب عند الإطلاق، إذن يجب الانتهاء، ووجوب الانتهاء يقتضي تحريم الفعل، فيكون في هذه الآية دليل على أنه إذا جاء النهي فإنه يكون المنهي عنه حرامًا.

٢- حديث النبي £ : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». [البخاري ٧٢٨٨، ومسلم ٨٢٧].

وجه الدلالة: في الحديث الأمر بالانتهاء عما نهى عنه رسول الله £ من غير استثناء، والأمر للوجوب كما تقدم.

٣- أن صيغة: «لا تفعل» تقتضي ترك الفعل والامتناع عنه، والامتناع أبدًا لا يحصل إلا بالتحريم؛ إذ الكراهة لا تمنع العباد من الفعل دائمًا.

٤- أن أهل اللغة لا يفهمون من الصيغة عند الإطلاق إلا المنع الجازم، ولهذا إذا قال السيد لعبده: لا تفعل كذا، ثم فعله، استحق العقوبة، وهذا مما هو متعارف عليه عند العرب، قال القرافي في «أنوار البروق في أنواع الفروق»: «الأوامر والنواهي إنشاء متفق عليه في الجاهلية والإسلام، فإن قول القائل: افعل، لا تفعل، يتبعه إلزام الفعل أو الترك». [١ / ٩٥]، والقرآن والسنة إنما جاءا بلغة العرب.

٥- أن الصحابة فهموا من النهي المطلق التحريم، فإذا ورد عن النبي £ النهي عن شيء عدُّوه محرمًا، سواء أصحبته قرينة تدل على التحريم أم لا، بل كان الصحابة رضي الله عنهم يحملون اجتناب النبي £ لبعض العادات من الأطعمة والأشربة على التحريم أولاً، حتى يسألوا رسول الله £ ، فإما أن يُقِرَّ التحريم أو ينفيه.

وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، منها ما جاء عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه في حديث بداية هجرة النبي £ إلى المدينة وإقامته في دار أبي أيوب حتى بنى النبي £ المسجد وبيوت أمهات المؤمنين. وفي الحديث:... «فكان يصنع للنبي £ طعامًا، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابعه، فصنع له طعامًا فيه ثوم، فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع النبي £ ، فقيل له: لم يأكل، ففزع وصعد إليه فقال: أحرام هو؟ فقال النبي £ : لا، ولكني أكرهه، قال: فإني أكره ما تكره، أو ما كرهت». [مسلم ٢٠٥٣].

ومن ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخلت أنا وخالد بن الوليد رضي الله عنه بيت ميمونة، فأُتي بضب محنوذ (مشوي) فرفع رسول الله £ يده، فقلت: أحرام هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه لم يكن بأرض قومي، فأجدني أعافه قال خالد: فاجتررته فأكلته، والنبي £ ينظر. [البخاري ٥٤٠٠، ومسلم ١٩٤٨].

ملاحظة: [ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها هي خالة ابن عباس رضي الله عنهما وخالة خالد بن الوليد رضي الله عنه. فأجدني أعافه: أي أكره أكله. فاجتررته: أي جذبته].

٦- أن كثيرًا من النواهي رُتب عليها عقوبات شرعية، وهذه العقوبات تتنوع، مما يدل على أن الأصل في النواهي التحريم، فالثواب والعقاب تابع للأوامر والنواهي، فما فيه مفسدة يُنهى عنه، فإذا فعل حصل العقاب، وما فيه مصلحة أمر به فإذا فُعل حصل الثواب.

وهناك من أهل العلم من يقولون: إذا كان مورد النهي للإرشاد والتأديب فإنه لا يُراد به التحريم. وقالوا يدل على ذلك بالاستقراء، وأنه يُرَاد التنزه من ذلك، وأن مثل هذا في لغة العرب يُرَاد به أن الإنسان يتنزه عن ذلك، وأنه ليس ملزمًا بتركه، اللهم إلا إذا دلَّ الدليل على أنه للتحريم، مثل الأكل بالشمال، فوجد الدليل على أن المراد بذلك التحريم، وأنه لا يجوز للإنسان أن يأكل بشماله.

وهناك بعض الحنفية، وبعض المالكية، وبعض الشافعية، يقولون: إن أوامر القرآن والسنة ونواهيهما على الوقف، حتى يقوم دليل على حملها إما على الوجوب في العمل أو في التحريم، وإما على ندب أو إباحة، وإما على كراهة. [أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ١ / ١٩٠-١٩٢، شرح منظومة القواعد والأصول لابن عثيمين ١ / ٥٠، شرح الأصول من علم الأصول ١٧٦ بتصرف، أنوار البروق ٨ / ٢٢].

إن كثيرًا من النواهي رُتب عليها عقوبات شرعية، وهذه العقوبات تتنوع، مما يدل على أن الأصل في النواهي التحريم، فالثواب والعقاب تابع للأوامر والنواهي، فما فيه مفسدة يُنهى عنه، فإذا فعل حصل العقاب، وما فيه مصلحة أمر به فإذا فعل حصل الثواب.

سادسًا: دلالة النهي على الفور والتكرار

من لازم تحريم المنهي عنه اقتضاء التكرار والفور، فإذا نهي الشرع عن شيء وجبت المبادرة

بالترك، وألا يفعل المنهي عنه في أي وقت من الأوقات، فما زال العلماء يستدلون بالنهي على الترك مع اختلاف الأوقات من غير تخصيص بوقت دون وقت، ولولا أنه للتكرار والدوام لما صحّ ذلك.

وإذا كانوا قد اختلفوا في الأمر هل يقتضي التكرار والفور؛ لأن الأمر له حدٌّ ينتهي إليه فيقع الامتثال فيه بالمرة، لكن الانتهاء عن المنهي عنه لا يتحقق إلا باستيعابه في العمر.. فبالاستمرار به يتحقق الكفّ.

وكمثال على ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

فالله سبحانه وتعالى نهاهما عن الاقتراب والأكل من هذه الشجرة، وهذا يستلزم الفور والتكرار، لكن آدم عليه السلام أكل منها فخرق دوام النهي، فعاقبه الله تعالى بمقتضى ذلك، وأخرجهما من الجنة ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، فلو كان النهي لا يقتضي الدوام، ويجوز تركه أحيانًا، ما عُوقب آدم عليه السلام.

ومثال آخر: انظر إلى النبي £ كيف أعرض عن رجل لبس في أصبعه خاتمًا من ذهب، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رجلاً أتى النبي £ وفي يده خاتم من ذهب، فأعرض النبي £ عنه، فلما رأى الرجل كراهيته، ذهب فألقى الخاتم، وأخذ خاتمًا من حديد فلبسه، وأتى النبي £ قال: «هذا شرٌّ، هذا حلية أهل النار». فرجع فطرحه، ولبس خاتمًا من ورق (فضة)، فسكت عنه النبي £. [أحمد ٦٤٨٢، وصححه الألباني في آداب الزفاف ١٤٥].

فالنبي £ نهى عن لبس الذهب للرجال، والنهي يقتضي الفورية والدوام، لذا فإن النبي £ عاقبه بالإعراض عنه (وهذه كانت عند الصحابة عقوبة كبيرة)، ولعل شدة النبي £ على الرجل لعلم النبي £ أنه كان عالمًا بالحكم والتحريم، ولكنه متساهل، وهذا بخلاف الأعرابي الذي بال في المسجد، فقد استعمل معه النبي £ الرفق؛ لأنه كان جاهلاً لا يعرف الحكم، وكذلك استعمل النبي £ اللين مع معاوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة؛ لأنه أيضًا لم يعرف الحكم؛ فذلك يرجّح أن الرجل كان يعرف الحكم بتحريم الذهب ولبسه، والله أعلم.

فائدة: صح عن رسول الله £ في حديث الواهبة أنه قال للرجل الذي أراد أن يتزوجها: «التمس ولو خاتمًا من حديد». [البخاري ٥٠٢٩، ومسلم ١٤٢٧].

والحديث الذي بين أيدينا ينهى فيه رسول الله £ عن اتخاذ خاتم الحديد، فكيف التوفيق بين الحديثين؟

إذا استطعنا الجمع بين الحديثين، فذلك الواجب، فالنبي £ في الحديث الأول نهى عن لبس خاتم الحديد، بينما في الحديث الثاني لم يأمر بلبسه ولم يجوِّزه، إنما هو كان على سبيل المهر للمرأة لتنتفع بثمنه، وهذا أولى الأقوال للجمع بين الحديثين، والله أعلم.

والعلماء سلكوا مسالك أُخَر:

القول الأول: يُكره (أي خاتم الحديد)، وهذا قول الجمهور.

القول الثاني: الجواز، وهذا المذهب عند الشافعية، واستدلوا بحديث الباب: «التمس ولو خاتمًا من حديد».

قالوا: إن النبي £ جعل خاتم الحديد مهرًا، وهذا يدل على أنه أَذِنَ فيه، ولو كان مكروهًا لم يأذن فيه، ولا وجه للإذن إلا إذا كان لبسه جائزًا.

قُلْتُ: والجمع أولى كما ذكرنا، يقول الحافظ ابن حجر: استدل به (حديث: التمس ولو خاتمًا من حديد) على جواز لبس خاتم الحديد، ولا حجة فيه؛ لأنه لا يلزم من جواز الاتخاذ جواز اللبس، فيُحتمل أنه أراد وجوده لتنتفع المرأة بقيمته. [فتح الباري ١٠ / ٣٢٣].

والحمد لله رب العالمين، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

بعض أهل العلم يقولون: إن أوامر القرآن والسنة ونواهيهما على الوقف، حتى يقوم دليل على حملها إما على الوجوب في العمل أو في التحريم، وإما على ندب أو إباحة، وإما على كراهة.



من نور كتاب الله

قال تعالى: ° وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ″

[البقرة: ١٢٧- ١٢٨].

من هدي رسول الله £ :

التواضع في حجته

عن أنس بن مالك قال: حج النبي £ على رحل رث، وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي،

ثم قال: «اللهم حجةً لا رياء فيها ولا سمعة»

[رواه ابن ماجه ٢٣٥٥ وصححه الألباني].

الحجيج ضيوف الرحمن

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «الحُجَّاج والعُمَّار وفد الله، إن دعوْه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم». [رواه ابن ماجه ٢٨٩٢، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٢/١٦٨: رواته ثقات].

فضل البيت الحرام

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله £ قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

فضل الحج المبرور

عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما من الذنوب والخطايا، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

[البخاري ١٧٧٣، ومسلم ١٣٥١].

من سنن وآداب الطواف

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي £ قال: «الطواف حول البيت صلاة إلا أنكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير». [رواه ابن خزيمة ٢٥٧٢، وصححه الحاكم ١/٤٥].



الحج عرفة

عن عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحج عرفات، الحج عرفات، الحج عرفات؛ أيام منى ثلاث فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه، ومن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج». [رواه الترمذي ٢٩٧٥، وصححه الألباني].

دعاء يوم عرفة

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «خيرُ الدعاءِ دعاء عرفة، وخيرُ ما قُلتُ أنا والنَّبيُّون من قبلي: لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لهُ، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيء قديرٌ». [رواه الترمذي ٣٥٨٥ وحسنه الألباني].

المضحي لا يحلق شعراً

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره». [رواه مسلم ١٩٧٨].

من أخطاء الحجيج

اعتقاد بعض الناس أن حجه يكون ناقصًا إذا لم يزر قبر النبي ﷺ، ويقف عنده ويدعو ويستشفع به، والصحيح فعل الصحابة، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا دخل المسجد النبوي قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتِ»، ثم ينصرف. [قال الألباني في فضل الصلاة ص١٠٠: إسناده صحيح موقوفًا].

ما يقول إذا رجع من الحج

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». [البخاري ١٧٩٧، ومسلم ١٢٥٧].

فضل العمل في أيام التشريق

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه». قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء». [رواه البخاري ٩٦٩].



من الآداب الإسلامية

الحلقة الثانية

آداب الزيارة

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن مفهوم الزيارة، وآداب زيارة مسجد النبي £ ، وفي هذا العدد نتكلم عن آداب الضيافة.

ثالثًا: آداب الضيافة

الضيافة من الآداب العظيمة في الإسلام، وهي من سنن المرسلين، وكانت من العادات الحميدة عند العرب قبل الإسلام.

أ- إكرام الضيف في الجاهلية:

الضيافة من العادات الحميدة عند العرب قبل الإسلام، فقد كان لأهل الجاهلية شأن عظيم في إكرام الضيف، بل وكانوا يحتفلون به، ويعلنون عن أنفسهم لاستضافة من يرغب في الضيافة، ويعدون إكرام الضيف من مفاخرهم، ومن أمهات مكارم أخلاقهم، ويذمون من لم يكرم الضيف.

ففي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قال: نَزَلْنَا مَنْزِلاً فَأَتَتْنَا امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٌ لُدِغَ، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مِنَّا مَا كُنَّا نَظُنُّهُ يُحْسِنُ رُقْيَةً، فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ فَأَعْطَوْهُ غَنَمًا وَسَقَوْنَا لَبَنًا، فَقُلْنَا: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً؟ فَقَالَ: مَا رَقَيْتُهُ إِلاَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، قَالَ: فَقُلْتُ: لا، تُحَرِّكُوهَا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ £ ، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ £ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «مَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ». [مسلم ٢٢٠٤].

وكان قيس بن عاصم الصحابي رضي الله عنه سيد قومه، وكان جوادًا حليمًا، أخذ الأحنف بن قيس الحلم عنه، تزوج قيسٌ امرأةً فأحضرت له طعامًا، فقال لها: أين أكيلي؟ فلم تدرِ ما يقول لها، فأنشأ يقول:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي
له أكيلاً فإني لست آكله وحدٍ
أخًا طارقًا أو جار بيتٍ فإنني
أخاف ملامات الأحاديث من بعد

وإني لعبد الضيف من غير ذلة
وما فيّ إلا ذاك من شيمة العبد

وقد أوصى قيس بن خفاف بن عمرو بن حنظلة جبيلاً ابنه بقصيدة فيها آداب ومصالح يقول له فيها:

أجبيل إن أباك كارم يومه
فإذا دُعيتَ إلى المكارم فاعجلِ
أوصيك إيصاءَ امرئ لك ناصحٍ
ظن بغيِّه الدهرَ غيرَ معقل
الله تتقه وأوف بنذره
وإذا حلفتَ مماريًا فتحلل
والضيفَ تكرمه فإن مبيته
حقٌّ ولا تك لعنةً للنُّزَّل
واعلم بأن الضيف مخبر أهله
بمبيت ليلته وإن لم يُسأل

ب- إكرام الضيف في الإسلام:

الضيافة من الآداب العظيمة في الإسلام، وهي من سنن المرسلين؛ لأن الكرم يؤلف قلوب الناس حول صاحبه، ويجعلهم أخلص أعوانه، وأصدق خلانه، وأسرع إجابة لصاحبه في الشدة والرخاء، وقلَّما تجد كريمًا مبغَضًا، أو بخيلاً محمودًا عندهم، فالبخيل مبغَض حتى عند أهله وذويه، كما أن الكريم الجواد معظمًا مكرمًا عند جيرانه وأصدقائه.

وكان أول من ضيَّف الضيفان هو خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، روى الإمام أحمد والبخاري، وصف النبي ﷺ لسيدنا إبراهيم هو وذريته بالكرم فقال: «الكريمُ ابنُ الكريم ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ يوسفُ بنُ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام» [البخاري ٣٣٩٠].

وروى البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: «من أكرمُ الناس؟» قال: «أكرمهم أتقاهم». قالوا: يا نبي الله، ليس عن هذا نسألك. قال: «فأكرمُ الناس يوسفُ نبي الله ابنُ نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «أفعن معادن العرب تسألونِ: خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقِهوا» [البخاري ٣٣٥٣].

فقد ورث يوسف عليه السلام الكرم عن أبيه يعقوب وعن جده إسحاق وعن جده إبراهيم، ذرية بعضها من بعض.

ولقد كان خليل الرحمن لا يأكل إلا ومعه ضيف، فإن لم يجد ظل يبحث عنه حتى يجده.

ومما يروى عنه أنه عليه السلام نزل عليه ضيف، فقدم له طعامًا وجلس ليأكل معه، فسمَّى إبراهيم ربه تيمنًا، وجهر بالبسملة لعل ضيفه يسمع فيقولها هو الآخر، لكنه لم يقل، فقال له إبراهيم عليه السلام: يا أخي اذكر الله على طعامك؛ فإنها سنة الأبرار. فقال له الضيف: أنا لا أعرف شيئًا من هذا، فغضب إبراهيم عليه السلام، وقال: إما أن تذكر الله على طعامنا، وإما أن لا تأكله. فقام الرجل وفارق بيت الخليل، لكن استيقظت سجية الكرم الفطري في قلب الخليل، فأنزل الله عليه وحيًا يعاتبه: يا

«« الضيافة من الآداب العظيمة في الإسلام، وهي من سنن المرسلين؛ لأن الكرم يؤلف قلوب الناس حول صاحبه، ويجعلهم أخلص أعوانه، وأصدق خلانه، وأسرع إجابة لصاحبه في الشدة والرخاء »»

> كان خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام لا يأكل إلا ومعه ضيف، فإن لم يجد ظل يبحث عنه حتى يجده

إبراهيم، إنَّ هذا العبد قد وسعته في أرضي منذ سبعين سنة، يأكل رزقي ويعبد غيري، أفلا تسعه أنت في بيتك ساعة واحدة؟ فخرج الخليل عليه السلام، وبحث عن الرجل حتى وجده، فقال: يا هذا ارجع معي إلى البيت لتنال حق ضيافتك.

ونبي الله لوط عليه السلام كان يكرم الضيف أيضًا، وكيف لا، وهو قد تعلم من إبراهيم عليه السلام؛ ولما جاءه ضيوفه، وكانت امرأته تدلّ الفجار على ضيفه، وكان يدافعهم، وأخبر ربنا عز وجل أنهم راوده عن ضيفه، فطمس الله أعينهم، وكذلك رجمهم، وهذا يدل على خطورة إيذاء الضيف، قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]، وقال سبحانه: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣].

وهكذا مضت قافلة الأنبياء في كرم الضيافة حتى كان خاتمهم وأكرمهم: رسولنا محمد ﷺ أكرم الناس، بل وأعظمهم في إكرام ضيفه، وقد وصفته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قبل بعثته، فقالت له بعد أن رجع من غار حراء يرتجف: «والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» [البخاري ٤، ومسلم ١٦٢].

وفي الحديث المتفق عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة» [البخاري ١٩٠٢، ومسلم ٢٣٠٩].

وروى الإمام أحمد ومسلم في صحيحه من حديث أنس قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ. قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ. [مسلم ٢٣١٢].

الترغيب في إكرام الضيف

أوصى النبي ﷺ بإكرام الضيف، ففي الحديث المتفق عليه عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ». [البخاري ٦١٣٥].

قال ابن بطال: سُئل عنه مالك، فقال: يكرمه ويتحفه يومًا وليلة، وثلاثة أيام ضيافة. قلت: واختلفوا هل الثلاث غيرها أو هي بعض منها؟ فقال أبو عبيد: يتكلف له في اليوم الأول بالبر والألطاف، وفي الثاني والثالث يقدم له ما حضره، ولا يزيد على عادته، ثم يعطيه ما يجوز به يومًا وليلة، وتسمى الجيزة، وهي قدر ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل، ومنه الحديث الآخر: «أجيزوا الوفد بنحو ما كنت

أجيزهم». [البخاري ٤٤٣١، ومسلم ١٦٣٧].

وقال الخطابي: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يتحفه ويزيده في البر على ما بحضرته يومًا وليلته، وفي اليومين الآخرين يقدم له ما يحضره، فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه، فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة. [الفتح: ١/٥٤٩].

وقال الإمام النووي: قال العلماء: معناه الاهتمام به في اليوم والليلة، وإتحافه بما يمكن من بر وألطاف، وأما في اليوم الثاني والثالث فيطعمه ما تيسر، ولا يزيد على عادته، وأما ما كان بعد الثلاث فهو صدقة ومعروف إن شاء فعل، وإن شاء ترك. [انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٦/١٥٢].

فيكرم ضيفه ويتحفه، وثلاثة أيام ضيافة، ولصاحب المنزل أن يأمر الضيف بالتحول عنه بعد الثلاثة، لأنه قضى ما عليه.

وروى أبو داود وابن ماجه وغيرهما بإسناد صحيح عن المقدام بن معد يكرب عن النبي ﷺ قال: «ليلة الضيف حق على كل مسلم» [أبو داود ١٢٤٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٤٧٠].

وفي الحديث المتفق عليه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يقرونا، فما ترى؟ فقال لنا رسول الله ﷺ: «إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم» [البخاري ٦١٣٧، ومسلم ١٧٣٠].

وروى أحمد والحاكم وصححه والحديث إسناده صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أيما ضيف نزل بقوم، فأصبح الضيف محرومًا فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه» [أحمد ٨٧٢٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٧٣٠].

وللحديث بقية مع أحكام الضيافة وآدابها، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

﴿ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ» ﴾

﴿ إشهار ﴾

بعد الاطلاع على القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الأهلية ولائحته التنفيذية الصادرة بقرار وزير الشئون الاجتماعية، تم إشهار الفروع التالية:

١- فرع تلا منوفية، تحت رقم (١٣٧٨) بتاريخ ٢٥ / ٥ / ٢٠٠٩م.

٢- فرع م. بلقاس دقهلية، تحت رقم (١٧٤٩) بتاريخ ٣ / ٩ / ٢٠٠٩م.

٣- فرع طور سيناء، تحت رقم (١٢٦) بتاريخ ٢٥ / ١٠ / ٢٠٠٩م.

والله ولي التوفيق.



توحيد الله

الحمد لله المتفرد بالكمال والبقاء، والعزِّ والكبرياء، الموصوف بالصفات والأسماء، المنزه عن الأشباه والنظراء، وأصلي وأسلم على نبينا محمد الصادق المأمون، وعلى آله وأصحابه الذين هم بهديه مستمسكون وبه يعملون.. وبعد:

فليس الإيمان مجرد دعوى وألقاب، إنما الإيمان الحق اعتقادٌ سليم، وعملٌ صحيح، ولاءٌ وبراء، مظهر ومخبر، بذل الندى وكفّ الأذى.

وتحقيقُ التوحيد يحتاج إلى يقظة قلبية دائبة تنفي عن النفس كلَّ خاطرة تقدح في العبودية لله، ومن وقع في مهاوي الشرك الأكبر؛ فطلب من الموتى زوالَ فقر أو مرض، أو طلب منهم جلب نفع، أو دفع ضر، فقد أساء إلى جناب الربوبية، وتنقَّص من الألوهية، وأساء الظن برب البرية.

فالتوحيد الخالص: هو لبابُ الرسالات الإلهية كلها، وأساس الملة، فمن أجل التوحيد خلق الله الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومن أجل التوحيد بعث الله الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ومن أجل التوحيد ترك نبي الله يوسف عليه السلام ملة قومه: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٧ - ٣٨].

ومن أجل التوحيد بُني بيت الله العتيق: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لاَ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦]، وها أنت -أخي الحاج الكريم- تخطو خطواتك إلى بلد الله الحرام، راجيًا من الله محو السيئات ورفع الدرجات، فجدّ في إخلاص العبادة لله، واعلم أن العبادة لا تكون عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تكون صلاة إلا مع الطهارة، فكما أن المتطهر إذا أحدث بطلت طهارته، فكذلك العابد إذا أشرك بطلت عبادته، كما قال الله تعالى لأشرف الخلق: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فالشرك لا يصح معه عمل، ولا تقبل معه عبادة، ولهذا كثيرًا ما يأتي الأمر بالعبادة مقرونًا بالنهي عن الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وكل نبي يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].



في الحج

إعداد/ عبده الأقرع

مظاهر التوحيد في الحج

إن الله شرع لنا حج بيته العتيق، فلنتدبر ما في هذا الحج من مظاهر التوحيد والابتعاد عن الشرك، حتى يكون ذلك درسًا عمليًا نترسمه في كل عباداتنا.

ونحن إذا تدبرنا تأسيس هذا البيت وجدناه قد أُسس على التوحيد، كما قال الله تعالى: ˚ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ˝ [البقرة: ١٢٥].

فأمرهما الله بتطهير البيت من سائر النجاسات، وأعظمها الشرك، كما قال الله تعالى: ˚ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ˝ [التوبة: ٢٨]، وقال تعالى: ˚ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ˝ [الحج: ٢٦].

إذن فهذا البيت أُسِّس على التوحيد، ويجب أن يبقى على التوحيد إلى أن تقوم الساعة، ولا يجوز أن يُسمح لمشرك بالوصول إليه، ولا بمزاولة شركه حوله، ولهذا لما فتح النبي £ مكة المشرفة دخل المسجد الحرام وفوق الكعبة وحولها ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها بالقضيب، ويقول: ˚ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ˝ [الإسراء: ٨١].

فجعلت الأصنام تتهاوى على وجوهها، ثم أمر بها £ فأخرجت من المسجد وأحرقت، ثم دخل £ الكعبة، وأزال ما رُسم على جدرانها من الصور، كل ذلك عملاً بقول الله تعالى: ˚ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ˝ [الحج: ٢٦]؛ لأن هذا البيت قبلة المسلمين، وإليه حجهم وعمرتهم، وهو ملتقى قلوبهم وأبدانهم، يأتون إليه من كل فج عميق، فيجب أن يكون مصدر التوحيد ومنبع العقيدة الصحيحة على مر الزمان وتعاقب الأجيال، ويجب أن يُبعَد عنه كل من أراد أن يبذر في أرضه بذور الشرك، أو يمارس حوله البدع والخرافات، حتى يظل مصدرًا صافيًا للإخلاص لله بالتوحيد، وإفراده بالعبادة، وإحياء سنة الرسول £، والدعوة إلى ذلك.

وقد أمر الله بأداء الحج والعمرة خالصين له، فقال سبحانه وتعالى: ˚ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ˝ [البقرة: ١٩٦]؛ مما يدل على أن كل حج وعمرة لا يتوفر فيهما توحيد العبادة، فليسا بمقبولين عند الله سبحانه وتعالى.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: رفع الأصوات بعد الإحرام بالتلبية لله ونفي الشريك عنه، وإعلان انفراده جل وعلا بالحمد والنعمة والملك، فيرفع الحاجّ صوته ملبيًا: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك». يرددها الحجاج بين كل فترة وأخرى حتى يشرعوا في التحلل من الإحرام.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: أن أعظم الذكر الذي يُقال في يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، فقد قال النبي £ : «خيرُ الدعاء دعاء عرفة، وخيرُ ما قُلتُ أنا والنَّبيُّون من قبلي: لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لهُ، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيء قديرٌ». [الترمذي ٣٥٨٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٢٧٤].

فهذا إعلان في هذا الجمع العظيم وفي هذا اليوم المبارك بتوحيد العبادة عن طريق النطق بهذه الكلمة وتكرارها؛ لأجل أن يستشعر الحاج مدلولها، ويعمل بمقتضاها، فيؤدي أعمال حجه خالصة لله عز وجل من جميع شوائب الشرك.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: أن الله أمر بالطواف ببيته، فقال تعالى: ˚ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ˝ [الحج: ٢٧].

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: أن الحاجّ حينما يفرغ من الطواف ويصلي الركعتين فإنه يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة قل يا أيها الكافرون، وفي الثانية يقرأ سورة الإخلاص؛ لما تشتمل عليه هاتان السورتان من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

مما يدل على أن الطواف خاص بهذا البيت، فلا يجوز الطواف ببيتٍ غيره على وجه الأرض، لا بالأضرحة، ولا بالأشجار والأحجار، ومن هنا يعلم الحاجّ أن كل طواف بغير البيت العتيق باطل وليس عبادةً لله عز وجل، وإنما هو عبادة لمن شرعه وأمر به من شياطين الإنس والجن.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الطواف بالبيت العتيق: أن الطائف حين يستلم الركن اليماني والحجر الأسود يكبِّر الله معتقدًا أنه يستلمهما لأنهما من شعائر الله، فهو يستلمهما طاعةً لله واقتداءً برسوله ﷺ، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استلم الحجر وقبَّله: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتك. [البخاري ١٥٩٧، ومسلم ١٢٧٠].

ومن هنا يعلم المسلم أنه لا يجوز التمسح بشيء من الأبنية والأحجار، إلا بالركن اليماني والحجر الأسود؛ لأنهما من شعائر الله، فلا يتمسح بالأضرحة ولا بغيرها؛ لأنه مخالف لشرع الله، ولأنها ليست من شعائر الله.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: أن الحاجّ حينما يفرغ من الطواف ويصلي الركعتين فإنه يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثانية يقرأ سورة الإخلاص؛ لما تشتمل عليه هاتان السورتان من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

ففي السورة الأولى البراءة من دين المشركين، وإفراد الله بالعبادة.

وفي السورة الثانية إفراد الله بصفات الكمال، وتنزيهه عن صفات النقص، وبذلك يعرف العبد ربه، ويخلص له العبادة، ويتبرأ من عبادة ما سواه من خلال هذا الدين العملي العظيم.

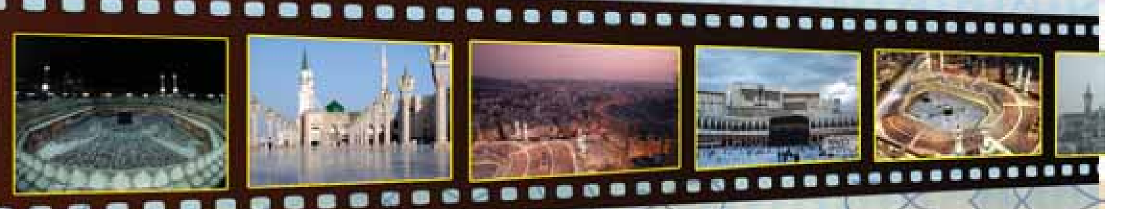
ومن مظاهر توحيد العبادة في السعي بين الصفا والمروة: أن العبد يسعى بينهما امتثالاً لأمر الله جل وعلا في قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

ومن ذلك يتعلم المسلم أنه لا يجوز السعي كعبادة في أي مكان من الأرض إلا بين الصفا والمروة؛ لأنهما من شعائر الله، وأن السعي بينهما إنما هو بأمر الله، فكل سعْي في غيرهما فليس عبادة لله؛ لأنه سعي بغير أمر الله.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: ما شرعه الله في يوم العيد وأيام التشريق من ذكره وحده، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وذكر الله في هذه الأيام يتجلى في الأعمال العظيمة التي تؤدَّى في أيام منى، من رمي الجمار، وذبح الهدي، وأداء الصلوات الخمس في هذا المشعر المبارك والأيام المباركة، كل هذه الأعمال ذكْر لله عز وجل، فرمي الجمار ذكر لله، ولهذا يقول المسلم عند رمي كل حصاة: «الله أكبر»، وذبح الهدي ذكر لله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦- ٣٧].



ومن هنا يتعلم المسلم أن الذبح عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، فلا يجوز أن يذبح لقبر ولا لولي ولا لجني أو أي مخلوق؛ لأن الذبح عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: أن الله أمر بذكره أثناء أداء مناسكه وبعد الفراغ منه، ونهى عن ذكر غيره من الرؤساء والعظماء الأحياء والأموات، وزجر عن المفاخرة بالأحساب والأنساب، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ . ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٩٨ - ٢٠٣].

إن الحج ليس مجرد رحلة استطلاعية، أو متعة ترفيهية، أو مجرد مظاهر وشعارات، ولكنه دروس وعِبَر، وتعليم عملي للعقيدة الصحيحة، ونبذ للعقائد الجاهلية.

فاتقوا الله -عباد الله- في أداء حجكم وسائر عباداتكم بأن تكون خالصة لوجه الله، وصوابًا على سنة رسول الله ﷺ، حتى يكون حجكم مبرورًا، فإن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة. [البخاري ١٧٧٣، ومسلم ١٣٥١].

فيا مَن مَنَّ الله عليهم بحج بيته العتيق، وتعلمتم من مناسكه العقيدة الصحيحة، وأدركتم ما كنتم عليه أو ما كان عليه غيركم من أهل بلادكم من أخطاء تخالف هذه العقيدة، عليكم أن تسعوا في تصحيح هذه الأخطاء، فإنكم مسؤولون عن ذلك أمام الله تعالى، فإن الله حمّل العالم مسؤولية تعليم الجاهل، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

إن الحج ليس مجرد رحلة استطلاعية، أو متعة ترفيهية، أو مجرد مظاهر وشعارات، ولكنه دروس وعبر، وتعليم عملي للعقيدة الصحيحة، ونبذ للعقائد الجاهلية.

فالمسلم لا يجامل فيما يُغضِب الله، ولا يداهن في دين الله.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالمؤمن يسعى في إصلاح نفسه، ثم في إصلاح غيره؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمنُ أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه». [البخاري ١٣، ومسلم: ١٧٩].

إن الدين ينبني على أصلين:

الأصل الأول: الإخلاص لله في العبادة. والأصل الثاني: المتابعة للرسول ﷺ، وهذان الأصلان إنما يُعرفان من تدبر الكتاب والسنة واتباعهما، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وفي اتباعهما الخير والرشاد والدلالة إلى صراط الله المستقيم.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أنْ يتقبل من حُجّاج بيته الحرام مناسكهم، وأنْ يجعل حجَّهُم مبرورًا، وسعيهم مشكورًا، وذنبهم مغفورًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه.. وبعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن بعض حقوق الزوجة على زوجها، ونكمل في هذا العدد بقية هذه الحقوق، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

عنترة والاحتلال البغيض

بعض الأزواج - هداني الله وإياهم - يرى أنه بزواجه بامرأته قد احتلها احتلالاً، وأنه انفرد بحبيب ليس لأحد فيه نصيب، وكأنه اقتطفها من بستان أهلها؛ ويجوز لهم -مع الكراهة!!- أن يشمّوها فقط، فإذا زارت أهلها؛ قال لها زوجها عنترة: نصف ساعة فقط وتكونين لابسة وجاهزة وإلا فسأفعل وأفعل، وإذا تأخرْتِ فأنت طالق!! فتجلس المسكينة تطالع في السَاعةَ كل لحظة، وربما علم أحد أقاربها وأرحامها بوجودها فجاء ليسلم عليها، فوجد أن الوقت الأصلي قد انتهى.

وتبكي الأم بنتها، وتبكي البنت مثلها، ويرثي الأهل حالها، ولكن دون جدوى، فقد جاء عنترة زوجها، ليأخذها في الوقت المحدد لها، فهي زوجته قد احتلها!!

وتتوسل أمها إلى عنترة أن يسمح لها أن تبيت ليلة مع أمها، تفرح بها، وتُبرِّد نار قلبها، فيأبى عنترة إلا أن يحرق قلبها، فهي زوجته قد احتلها!! وبهذا يكافئ هو أهلها. ويا أسفاه؛ فلما سار عنترة بأهله، آنس في الطريق أخًا من الإخوة، دعاه للعشاء فلبَّى النداء؛ لأن النبي ﷺ قال: «وإذا دعاك فأجبه» !! وبعد العَشَاء وطول اللقاء، وقد مضى نصف الليل، ووجد عنترة أنه تأخر، فبات بأهله. وتبكي الزوجة التي لم تبت عند أمها؛ وباتت عند أخت زوجة ابن عم صديق زوجها!! وحرم عليها المبيت عند أمها وأهلها.

أين الرحمة وأين الوفاء؟ ارحموا مَن في الأرض يرحمكم من في السماء.

أين العشرة بالمعروف؟ وعاشروهن بالمعروف.

أين الألفة والليونة؟ المؤمن هيِّن ليِّن، المؤمن يألف ويؤلف، أين الوفاء إلى أهلها، يوم سعدوا بزواجك بها، فتشعرهم الآن بفقدها؟ والعجيب أن عذر مثل هؤلاء أنهم يؤدِّبون بذلك أمّ الزوجة، فيقول أحدهم: أنا أريد أن يكون لي

عند حماتي شخصية مستقلة، ولا تكون هي المسيطرة. وآخر يقول: أنا أعلّم زوجتي أنها إذا مات أبوك أو أمك وأرسلوا لك فلا تذهبي إليهم. وكل ذلك شعارات عنترية، وأوامر عسكرية خالية من الرحمة والإنسانية، فأين الرحمة وحُسن العشرة ولين الجانب، وخفض الجناح، والمودة والإنسانية، وحسن تَأَتّي الأمور، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

ألا تخشى يا أخي أن يكافئك الله عز وجل من جنس عملك، فيرزقك بعنترة مثلك، فيفعل معك في بنتك، مثل صنيعك وفعلك؟ هل تجزون إلا ما كنتم تعملون؟!

١٤. ألاَّ يبغضها لشيء فيها يكرهه:

فالكمال لله وحده الذي يعالج هذه القضية بقوله جل وعلا: ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩]. والنبي ﷺ يقول: «لا يفرك (أي لا يبغض) مؤمن مؤمنة، إن سخط منها خلقًا رضي منها آخر». [مسلم: ٣٧٢١].

وصدق القائل:

ومن ذا الذي تُحمَد سَجاياهُ كلُّها
كفى بالمرء نُبلاً أن تُعَدَّ معايبه

١٥- أن يؤمِّن لها حق الشكوى إذا اشتد الخلاف بينهما:

وهذا أيضًا من أعظم الأخلاق، وغيابه من أهم أسباب الشقاق المؤدي للطلاق. أمّا أن يعتبر زوجها أن مجرد شكواها -بعد ظلمها وقهرها- إفشاءً لسر البيت -ولا ينبغي إخراج الأسرار-، فيظل قائمًا على ظلمه وقهره، والزوجة في كبت ومرض، فهذا من الظلم البيِّن والتعسف الرديء. وكيف به إن هتك الله ستره يوم القيامة على رءوس الخلائق، واستوفى منه المظلمة؟! وهذا للأسف موجود بكثرة.

إن الله تعالى سمع قول التي جاءت إلى النبي ﷺ تجادله في زوجها وتشتكي، وأنزل قرآنًا يُنصفها، وكانت النساء تأتي إلى رسول الله ﷺ تشتكي أزواجها وآباءها، وكذلك إلى الخلفاء والقضاة، فما الداعي لأن يتشدد زوج مع زوجته؟ فلا هو أنصفها، ولا تركها تشتكي لمن ينصفها. هدانا الله.

١٦- ألا يهجرها أو يضربها لغير سبب مشروع:

وهذا إذا لم تنفع معها الموعظة مرارًا، قال الله تعالى: ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾. قال القرطبي: والهجر في المضاجع هو أن يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها، عن ابن عباس وغيره.. ولا يمكن بُعدُها (أي البُعد عنها) إلا بترك مضاجعتها. إلى أن قال: هذا قول حسن، فإن الزوج إذا أعرض عن فراشها فإن كانت مُحِبّة للزوج فذلك يشق عليها فترجع للصلاح، وإن كانت مبغضة فيظهر النشوز منها، فيتبين أن النشوز من قِبلَها). [تفسير القرطبي: ٥ / ١٧١].

وزاد بعض العلماء: «ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها». لكن لا يكون الهجر خارج البيت إذا كان في النية هجرها، فلا يذهب عند أمه وأصدقائه ويتركها، فهذا تجاوز لأمر الله.

١٧- ألا يزيد الهجر عن أربعة أشهر:

لقول الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٦]. أي: يحلفون على ترك الجماع من نسائهم، فأقصى مدة يتم فيها الترك والهجر أربعة أشهر، ولا يزيد عن ذلك، وللزوجة الحق عند ذلك في مطالبة الزوج؛ إما أن يفيء كما ذكرت الآية، أي يرجع ويجامع، وإما أن يطلق، ويجبره القاضي على هذا.

١٨- ألا يضرب وجهها عند ضربها:

فإذا وصل الحال إلى الضرب ولم يكن منه بُد؛ فليجتنب الرجل ضرب امرأته على وجهها، ولا يُقبل الانفعال والغضب عذرًا حينئذ، فالنهي ما جاء إلا للمتشاجر الغضبان، وينبغي أن تخالط الرحمة ذلك الضرب، فيكون ضرب تأديب، وإصلاح وتهذيب؛ لا انتقام وتعذيب.

كما يكون غير مُبَرّح يعني غير شديد ولا شاق.

١٩- ألا يكثر لها من التهديد بالسلاح الرخيص وهو كثرة التلويح لها بالطلاق:

فمن الأزواج - إلا مَن رحم الله - مَن يعتبر أنه بزواجه بامرأته قد مَنَّ عليها منَّة عظيمة؛ فيظل يهددها بالطلاق. ونسي أن الله تعالى هو الذي مَنَّ عليه وعليها وجعلهما زوجين، كما قال جل وعلا: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

وكما أن الرجل لباس لزوجته، فهي أيضًا لباس له، قال تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

والمودة والرحمة قسمة بين الزوجين، لا يستغني عنها أحدهما إلا الشقي منهما. ومَن من الرجال ارتاح وسعد بدون المرأة؟! ومَن من النساء ارتاحت وسعدت بدون الرجل؟ فلا منَّة لأحد على الآخر، ولله تعالى الحمد والمنة.

٢٠- تحكيم أهلها مع أهله عند خوف الشقاق:

ينبغي تحكيم الأهلين وعدم تجاهلهم؛ لقول الله جل وعلا: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا

مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ˝ [النساء: ٣٥].

ولا شك أنه إذا استطاع كلا الزوجين تجاوز خلافاتهما، والإسراع في حلها قبل أن يعلم بها أحد فهو نور على نور.

٢١- صلتها وزيارتها إذا كانت عند أهلها لسبب من الأسباب:

كولادة مثلاً، أو مرض، أو بسبب مشكلة قائمة وغير ذلك، فإن في صلته لها عند أهلها، وخاصة في حالة نزاع بينهما؛ تخفيفًا من حدة المشكلة. كما أن أهلها يرون منه المروءة عند الشدائد. وهو أيضًا يقطع السبيل على مداخل الشيطان الذي يبحث عن مثل هذه المواضع لتوسيع فجوة الخلاف وإثارة الظنون والفتنة.

ولنا في المختار £ قدوة، فقد كانت عائشة رضي الله عنها في بيت أهلها عند أبي بكر في قصة الإفك، ولم تكن براءتها نزلت من السماء بعد، فكان يزورها £ ويسلّم عليها ويتفقد أحوالها، وهو لم يتهمها £ ، وكانت قد استأذنته رضي الله عنها أن تذهب إلى بيت أهلها فأذن لها. ثم كان يزورها هناك.

فأين نحن من هذا الكرم الخُلقي، والهدي النبوي؟

٢٢- ألا يضارها ويضايقها ليُكرهها على المفارقة والتنازل عن حقها:

فإذا كره الرجل امرأته، ولم يعُد يرغب في بقائها معه فإن عليه أن يطلقها، ولا يجوز له أن يأخذ منها شيئًا؛ لأن الكراهية صادرة منه، ولا يجوز له كذلك أن يضارّها ويضايقها، حتى تطلب هي منه الطلاق ليطلب منها رد الصداق أو أكثر منه أو أقل، وفي هذا المعنى قال تعالى: ° الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ˝ [البقرة: ٢٢٩].

دلت الآية الكريمة على أن الزوجين إذا علما أنهما يقيمان حدود الله في العشرة بينهما، ويؤدي كل واحد منهما حق الآخر، فعليهما الاستمرار في حياتهما الزوجية والمعاشرة بالمعروف، وإن ظهر للزوج أنه لا يقيم حدود الله في العشرة الحسنة مع امرأته، ولا يؤدي حقوقها عليه، فإن عليه أن يطلقها ويفارقها بإحسان، ولا يجوز له أن يضارّها لتفتدي منه وهو الذي كرهها. وإن علمت الزوجة أنها لا قدرة لها على إقامة حدود الله مع زوجها، أي لا تطيق البقاء معه مع القيام بحقوقه، فإن لها أن تفتدي منه ليفارقها؛ لأن الكره جاء منها له.

وقد أمر رسول الله £ بعض أصحابه أن يقبل مالاً افتدت به امرأته منه لكراهتها البقاء معه، وخوفها من الإثم بعدم إقامتها حدود الله في حقه، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي £ ، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خُلُق ولا دين، ولكن أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله £ : «أتَرُدِّين عليه حديقته»؟ قالت: نعم، قال رسول الله £ : «اقبل الحديقة، وطلقها تطليقة». [البخاري: ٤٩٧١]. وبهذا تأمن المرأة من إكراهها على البقاء مع زوجها الذي تكرهه، كما يأمن هو من إكراهه على بقائه مع زوجته التي يكرهها، فإن له أن يطلقها متى شاء.

٢٣- أن يطلقها لعدتها المشروعة إذا أراد طلاقها:

(والمقصود هنا بيان أن من عزم على الطلاق، فالواجب أن يطلق امرأته في الوقت الذي حدده الشارع ليكون بداية عدتها من زوجها، وهو الطُّهر الذي لم يجامعها فيه، أو أن تكون المرأة حاملاً قد استبان حملها؛ لأنه في الأول يعرف براءة رحمها، ويحسب الطهر الذي طلقها فيه من عدتها، فلا تُظلم بطول مدة العدة. وفي الثاني تكون العدة معروفة بوضع الحمل، وقد عُرف ما اشتمل عليه رحمها، فإذا طلقها وهي حائض طالت مدتها، لأن وقت الحيض الذي طلقها فيه لا يُحسب من عدتها؛ لأنها تعتد بالأطهار وليس بالحيض، فيُحسب الطهر الذي يلي تلك الحيضة، كما أنه إذا طلقها في طهر جامعها فيه؛ لم تُعلم براءة رحمها منه. لذلك أمر الله تعالى أن تُطلق المرأة لعدتها، وأمر بحفظ عدتها، لما في ذلك من حفظ حق الزوج وحق المرأة معًا، قال تعالى: ° يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ˝ [الطلاق: ١].

قال القرطبي رحمه الله:

> **إذا كره الرجل امرأته ولم يعد يرغب في بقائها معه فإن عليه أن يطلقها ولا يجوز له أن يأخذ منها شيئاً.**

﴿ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ أي في عدتهن، أي في الزمان الذي يصلح لعدتهن، وحصل الإجماع على أن الطلاق في الحيض ممنوع، وفي الطهر مأذون فيه.. إلى أن قال: وقوله تعالى: ﴿ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ : معناه احفظوها، أي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق. وقد أمر الرسول ﷺ مَن طلق امرأته وهي حائض أن يراجعها، ثم يطلقها في طُهر لم يمسها فيه، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله ﷺ ، فسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «مُرهُ فليراجعها، ثم ليُمسكها، حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعدُ، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تُطلق لها النساء». [البخاري ٤٩٥٣] .

قال الحافظ ابن حجر: «ولو طلقها في الطهر الذي يلي الحيضة التي طلقها فيها، جاز عند بعض العلماء، ولعل من الحكمة في الأمر بإمساكها إلى الطهر الثاني طول بقائها عند زوجها، لعله يذهب عنه كُرهُها ويرغب في بقائها، فلا يطلقها» [فتح الباري: ٩ / ٣٤٥ - ٣٥١].

٢٤- الإنفاق عليها وإسكانها إذا كان طلاقها رجعيًا:

فقد شرع الله تعالى للمرأة المطلقة الرجعية أن ينفق عليها زوجها أثناء عدتها حتى تبين منه بانتهاء عدتها، فإذا انتهت عدتها جعل الله لها مخرجًا ورزقها من حيث لا تحتسب، أما إذا كانت المطلقة ليست رجعية -وهي التي تبين منه بمجرد طلاقه إياها، كالتي لم يدخل بها فهي لا عدة لها، والتي استكملت ثلاث تطليقات، - سواء طُلقت ثلاثًا متفرقات أم دفعة واحدة عند من يعتبر الثلاث في وقت واحد مُبِينَة للمرأة - فلا نفقة لها ولا سكنى، إلا إذا كانت حاملاً، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ .

وهذا ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما وأحمد بن حنبل، وهو الذي روته فاطمة بنت قيس عن رسول الله ﷺ ، قالت: إن أبا عمرو بن حفص طلقها ألبتة -وفي رواية: ثلاثًا- وهو غائب، فأرسل إليها وكيلُه بشعير فسخطتْه، فقال: والله ما لك علينا من شيء، فجاءت رسولَ الله ﷺ ، فذكرتْ ذلك له، فقال: «ليس لك عليه نفقة» وفي رواية «ولا سكنى» فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك. [مسلم ٣٧٧٠].

٢٥- ألا يُخرجها من بيتها وقت العدة ولا تخرج هي أيضًا:

وقد درج كثير من الجهال أن يطرد زوجته ويُخرجها من البيت إذا غضب عليها أو طلقها، وتفعله أيضًا الكثيرات ممن تقع في هذه المشكلة، فتترك البيت لتذهب إلى بيت أهلها.

والحق أن الفريقين مخطئان ومخالفان لنص القرآن مخالفة صريحة، قال تعالى: ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ ، وقد أمر الله تعالى ببقاء المرأة في بيت الزوجية فترة العدة؛ معللاً ذلك الأمر بقوله: ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ ، ومهما كانت النفوس بالشقاق مشحونة، وعودة العشرة غير مضمونة، فلا بد من البقاء في بيت الزوجية؛ امتثالاً لأمر الله الذي جعل احتمال صلاح الأمور بيده، وزوال الشرور بقدرته، وإدخال السرور بإرادته: ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ .

في حالة خاصة فقط يمكن للمرأة أن تعتد في بيت أهلها؛ وهي كما قال تعالى: ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ . والفاحشة هنا كما قال ابن كثير، تشمل الزنا.. وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بذت (من البذاءة) على أهل الرجل وآذتهم بالكلام والفعال.

شرع الله تعالى للمرأة المطلقة الرجعية أن ينفق عليها زوجها أثناء عدتها حتى تبين منه بانتهاء عدتها، فإذا انتهت عدتها جعل الله لها مخرجًا ورزقها من حيث لا تحتسب !!

٢٦- أن يبقيها في عصمته إن طلبت ذلك منه إن أراد طلاقها:

فقد روت عائشة رضي الله عنها أن الآية الكريمة ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها، يريد طلاقها ويتزوج غيرها، تقول له: أمسكني ولا تطلقني، ثم تزوج غيري فأنت في حِل من النفقة

عليَّ والقسمة لي، فذلك قوله تعالى: ° فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ˝ [النساء: ١٢٨].

وقد ثبت ذلك من فعل النبي £ ، كما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: خشيتْ سودة أن يطلقها النبي £ فقالت: لا تطلقني، وأمسكني، واجعل يومي لعائشة. ففعل، فنزلت: ° فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ˝ [الترمذي: ٥ / ٢٤٩، وأصله في الصحيحين].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية بعد أن ذكر حديث الترمذي هذا: روى ابن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن رافع بن خديج كانت تحته خولة بنت محمد بن مسلمة، فكره من أمرها، إما كبرًا وإما غيره، فأراد أن يطلقها فقالت: لا تطلقني، واقسم لي ما شئت، فجرت السنة بذلك، ونزلت: ° وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ˝ . [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥ / ٤٠٣ - ٤٠٥].

٢٧- العدل بين أزواجه إن كان له أكثر من زوجة:

فالعدل واجب على كل حال لأمر الله تعالى به ° إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ˝ [النحل: ٩٠].

وقد هدد النبي £ وتوعد من لم يعدل بين نسائه بقوله £ : «من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل». [أبو داود ٢١٣٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٥١٥].

وهذا في العدل الظاهر الذي يستطيع فعله مَن أراده، أما إن كان هناك حبّ وميل في القلب إلى إحداهن؛ لكثرة جمالها أو محمود خصالها، فلا بأس على ألا يُظهر ذلك للجميع فيكدْنَ للمحبوبة كيدًا.

ونبينا محمد £ كان مثالاً وقدوة في العدل الظاهر بين نسائه، أما الحب القلبي فكان يعتذر إلى الله فيه، كما تقول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله £ يقسم بين نسائه فيعدل، وكان يقول £ : «ومَنْ يعدل إذا لم أعدل..». [البخاري ١٣٢١].

٢٨- وليكن لزوجته في الجملة كأبي زرع لأم زرع:

فأم زرع امرأة عاقلة، تتحدث عن فضل زوجها عليها وكرمه وحُسن عشرته لها، فتقول: «زوجي أبو زرع، فما أبو زرع؟ أنَاسَ من حُليّ أذني، وملأ من شحم عضُدَيّ، وبجَّحني فبجحت إليّ نفسي... إلى أن قالت: عنده أقول فلا أُقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح». [البخاري ٤٨٩٣، ومسلم: ٢٤٤٨].

تقول: أناس من حلي أذني: يعني حَلَّي أذنها بالقرط (الحَلَق) والحُلي الذي يتدلى من أذنيها، وأنت يا أخي العزيز بعد ما تُلبِس زوجتك الذهب ربما تسعى في بيعه بعد العُرس لتحقيق غرض آخر!! وإن كان هذا ليس ممنوعًا خاصة عند التراضي، لكن انظر إلى أبي زرع مع أم زرع زوجته، تقول:

وملأ من شحم عضُدَي: والعضد هو ما بين الكتف والمرفق، وهي لم تقصد العضد بذاته، وإنما أرادت أن الشحم ملأ جسمها كله، وعبَّرت بالعضد الذي إذا سمن سُمن سائر الجسد، وهذا يدل على ارتفاع الحالة النفسية والروح المعنوية، مما ظهر أثره على الجسد شحمًا ولحمًا.

تقول: وبجَّحني فبجحت إليَّ نفسي، والتبجح هو التعاظم والافتخار، تقصد أن زوجها عظَّمها وكرَّمها فرأت ذلك في نفسها.

وتقول: عنده أقول فلا أُقَبَّح: يعني لا يقبح كلامها ويسفهه، كالذي يقول لزوجته كلما تكلمت، اسكتي فأنت لا تفهمين شيئًا، أو يسخر منها أو يضحك.

ثم تقول: وأرقد فأتصبح، أي تنام وقت الصبح وهو الوقت أول النهار بعد الفجر؛ لأن زوجها كفاها مؤنة القيام في هذا الوقت، وإن كان النبي £ رَغَّب في شهود البكور لما فيه من البركة، قال £ : «بورك لأمتي في بكورها». [أبو داود ٢٦٠٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٨٤١].

وأشرب فأتقنَّح: أي تقطع الشرب وتتمهل فيه، وقيل هو الشرب بعد الرِّي، وكل ذلك راجع إلى كرم زوجها، وإحسانه عشرتها.

ولك أن تعرف أخي القارئ أن النبي £ لمَّا أخبرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بحديث أم زرع عن زوجها، قال لعائشة: «كنتُ لك كأبي زرع لأم زرع». هذا هو التجاوب في الخير والمعروف والعِشْرة الحسنة.

فهل ستكون أخي الحبيب مع زوجتك متجاوبًا حسَن العشرة كأبي زرع لأم زرع؟ وهل ستتحرك وتتأسى بنبيك الكريم فتقول لها: «كنتُ لك كأبي زرع لأم زرع». فتكون متبعًا لخير الخلق، وتكون من خير الرجال لنسائهم؟! هذا ما نرجوه.

والله من وراء القصد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد: فنكمل حديثنا حول العلامة عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - فنقول وبالله تعالى التوفيق:

عنايته بتحرير محل النزاع

وتلك قضية مهمة يُغفلها كثير من الأصوليين، فلا يعلم المتلقي الجزئية التي وقع فيه الخلاف مما كان محل اتفاق، وذلك في المسائل الخلافية، ولذلك كان الشيخ رحمه الله كثيرًا ما يلفت النظر في تعليقاته على هذه القضية المهمة، ومن النماذج على ذلك:

بقلم: د/ عبدالرحمن السديس
إمام الحرم المكي

١- في مسألة التحسين والتقبيح ذكر الآمدي إطلاقات العلماء واعتباراتهم في معنى التحسين والتقبيح، ثم علق الشيخ على ذلك بقوله: «الصحيح أن محل النزاع الحُسْن والقبح، بمعنى اشتمال العقل على مصلحة كان بها حسنًا، أو على مفسدة كان بها قبيحًا، ثم نشأ عن ذلك خلاف آخر: هل تثبت الأحكام في الأفعال من حسن أو قبح، ولو لم يرد شرع، أو يتوقف ذلك على ورود الشرع؟» ثم ذكر الأقوال في المسألة.

٢- كما كان الشيخ رحمه الله يعلِّق على ما ليس في محل النزاع في المسألة المراد بحثها، ومن ذلك أنه لما استدل الآمدي على منع تأخير البيان بقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، علق الشيخ رحمه الله بقوله: «الأمر في هذه الآية للوجوب قطعًا، وليس من محل النزاع فيما تقتضيه صيغة الأمر؛ إذ محله الأمر المجرد من القرائن، وهو في الآية قد اقترن بالتهديد على الترك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

وهناك نماذج كثيرة تركتها؛ رغبة في الاختصار، وسأحيل على مواضعها إن شاء الله.

تركيزه على التطبيق وكثرة الأمثلة وتخريج الفروع على الأصول:

كان الشيخ رحمه الله حريصًا على وصول المعلومة للقارئ بأقرب طريق، فكان أن سلك مسلك القاعدة والمثال؛ إذ بالمثال يتضح الاستدلال، فكان كثيرًا ما يُورِد الأمثلة، ويعيب على الأصوليين تقصيرهم في ذلك، كما كان رحمه الله يركز على الجمع بين التأصيل والتفريع بربط المسائل الأصولية العلمية بالمسائل الفرعية العملية التطبيقية.

ومن النماذج على ذلك أن الآمدي رحمه الله لما أطال النَّفَس في تعريفات القياس، والاعتراضات عليها والإجابات عنها، علق الشيخ رحمه الله بقوله: «ولو سلكوا في البيان طريقة القرآن، وسنة الرسول عليه

الصلاة والسلام، ومعهود العرب ومألوفهم من الإيضاح بضرب الأمثلة -وهذا محل الشاهد- لسهل الأمر وهان الخطب».

وحين يجنح الأصوليون إلى أمثلة افتراضية يطالبهم بالأمثلة الشرعية الواقعية، ومن النماذج على ذلك:

أنه حينما مثَّل الآمدي على مسألة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب بقوله: «كما لو قال الشارع: أوجبت عليك الصلاة إن كنت متطهرًا».

علَّق الشيخ رحمه الله على ذلك بقوله: «لو مثَّل بأمثلة واقعية، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ [النور: ٥٩]، لكان أنسب وأنفع.

> كان الشيخ رحمه الله حريصًا على تجلية الثمرة العملية في مسائل الخلاف العلمية، وإذا لم يكن ثمَّ ثمرة أشار إلى أن الخلاف لفظي لا تترتب عليه ثمرة عملية

وفي ذلك كفاية إن شاء الله على الاستشهاد على هذا المطلب المهم.

اهتمامه بالتأصيل والتقعيد وبيان مقاصد الشريعة وحِكَمها وأسرارها:

وذلك مطلب مهم نحى فيه الشيخ رحمه الله منحى العناية بالجوهر واللباب لهذا العلم المهم، فقد جمع رحمه الله بين الاستدلال بالنصوص، وبين العناية والنظر في مقاصد الشريعة وحِكَمها، وذلك جمع بين الحسنيين في المنهج الأصولي، فهو لم يُغرِق في الجدل والمنطق ولم يجمد على ظواهر النصوص ولم يغفل المقاصد والقواعد والحِكَم والأسرار، وتلك واللهِ لا تتحقق إلا لمن أُوتِيَ المنهج الصحيح، وَوُفِّقَ للطريق العلمي السليم.

ومن النماذج على ذلك أنه لما أورد الآمدي مسألة شكر المنعم عقلاً وردَّ على المعتزلة في الوجوب العقلي، علَّق الشيخ رحمه الله على ذلك ببيان مذهب أهل السنة في جمعهم بين النصوص وحِكَم الشريعة ومقاصدها، فقال رحمه الله: «والمخالف يعترف بذلك في تعليله الأحكام، وبيان حِكَمها وأسرارها، وخاصة في القياس، وبيان ميزة الشريعة الإسلامية على غيرها».

ومن النماذج المهمة في ذلك عناية الشيخ رحمه الله بالإحالة إلى مبحث المقاصد في كتاب الموافقات للشاطبي رحمه الله.

إيراده لثمرة الخلاف

كان الشيخ رحمه الله حريصًا على تجلية الثمرة العملية في مسائل الخلاف العلمية، وإذا لم يكن ثَمَّ ثمرة أشار إلى أن الخلاف لفظي لا تترتب عليه ثمرة عملية.

ومن النماذج على ذلك:

في مسألة المندوب هل هو من الأحكام التكليفية؟ فحينما ذكر الآمدي الخلاف في ذلك، علَّق الشيخ رحمه الله بقوله: «الخلاف في أن الندب والكراهة والإباحة من الأحكام أو لا؟ اختلاف في تسمية اصطلاحية لا فائدة عملية من ورائه».

وكذا في مسألة المباح وهل هو داخل في مسمى الواجب أو لا؟ علَّق الشيخ رحمه الله عليها بأن الخلاف فيها لفظي لا يترتب عليه ثمرة عملية تطبيقية.

كل ذلك وغيره كثير دليل على ترسُّم الشيخ رحمه الله المنهج العلمي الرصين، مما لا يسمح الاختصار بالاسترسال في بيانه وذكر النماذج عليه، وهي بادية للعيان بحمد الله لكل من قرأ عن الشيخ، وقرأ تعليقاته ومنهجه فيها. رحمه الله رحمة واسعة.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله عز وجل قد جعل الدنيا مزرعة للآخرة، وميدانًا للتنافس، ومن رحمة الله تعالى وحكمته أن فاضَل بين الأزمنة، فاصطفى منها ما شاء؛ ليكون ذلك عونًا للمسلم على التسابق والتقرب إليه سبحانه بأعمال البر والخير.

وإن الناظر في واقع كثير من الناس اليوم يرى جهلاً شديدًا بفضائل الأوقات، وبالتالي غفلة عن اغتنامها، مما يؤدي إلى الحرمان من الأجور العظيمة، وفوات الخير الكثير.

مِن أجل ذلك كان هذا المقال؛ تذكيرًا لإخواني، وحثًا لهم على اغتنام الأجر في الأيام العشر المباركة، وإحياءً للعمل بسنة النبي £ .

إعداد/ معاوية محمد هيكل

فضل الأيام العشر من ذي الحجة

وقد دلَّ على فضلها وعظيم منزلتها أمور:

١- قال الله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١، ٢]، قال غير واحد من السلف والخلف : إنها عشر ذي الحجة، وهو الصحيح. [ابن كثير ٤ / ٥٠٥].

٢- أن النبي £ شهد أنها أعظم أيام الدنيا، وجاء ذلك في أحاديث كثيرة منها:

- وقوله £ : «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر». فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله £ : «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء». [رواه الترمذي وصححه الألباني: ٦٠٥].

- قوله £ : «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه من العمل فيهن، من هذه العشر، فأكثروا فيهن من التهليل، والتكبير والتحميد». [أخرجه أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر ٢ / ٧٥ / ١٣٢].

والمراد من الحديثين: «أن كل يوم من أيام العشر أفضل من غيره من أيام السنة، سواء أكان يوم الجمعة أم لا، ويوم الجمعة فيه أفضل من الجمعة في غيره؛ لاجتماع الفضيلة فيه». [فتح الباري: ٢ / ٥٣٢].

وفيه تفضيل بعض الأزمنة على بعض كالأمكنة، وفضل أيام العشر على غيرها من أيام السنة. [المصدر السابق].

٣- أن النبي £ حثَّ على العمل الصالح فيها، وأمر بكثرة التهليل والتكبير.

٤- أن فيها يوم عرفة ويوم النحر، ولا يخفى عظيم منزلتهما.

٥- أنها مستودع لاجتماع أمهات العبادة: كالصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، ولا يتأتى ذلك في غيرها. [فتح الباري].

أنواع العمل الصالح في أيام العشر

وحيث ثبتت فضيلة الزمان ثبتت فضيلة العمل فيه، ومن أنواع العمل الصالح فيها ما يلي:

أولاً: التوبة النصوح

وهي الرجوع إلى الله تعالى، مما يكرهه ظاهرًا وباطنًا إلى ما يحبه ظاهرًا وباطنًا، ندمًا على ما مضى، وتركًا في الحال، وعزمًا على عدم العود.

وما يُتاب منه يشمل: ترك الواجبات، وفعل المحرمات. والتوبة واجبة على المسلم حين يقع في المعصية، في أي وقت كان؛ لأنه لا يدري في أي لحظة يأتي أجله، ثم إن المعاصي تزداد عقوبتها وتغلظ بقدر فضيلة الزمان والمكان.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وقد بين ابن القيم رحمه الله أن التوبة النصوح تتضمن ثلاثة أشياء: استغراق جميع الذنوب، وإجماع العزم والصدق، وتخليصها من الشوائب والعلل، وهي أكمل ما يكون من التوبة. [انظر: مدارج السالكين: ١ / ٣١٦، ٣١٧].

ثانيا: أداء الحج والعمرة

وهما واقعان في العشر من ذي الحجة، باعتبار وقوع معظم مناسك الحج فيها، ولقد رغب الشرع الحنيف في هاتين العبادتين العظيمتين وحث عليهما؛ لأن في ذلك تطهيرًا للنفس من آثار الذنوب ودنس المعاصي، ليصبح أهلاً لكرامة الله في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال رسول الله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». [البخاري ١٧٧٣، ومسلم ١٣٥١].

وقال رسول الله ﷺ: «من حج لله، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه». [البخاري ١٥٢١، ومسلم ١٣٥١].

ثالثا: المحافظة على الواجبات

والمقصود أداؤها في أوقاتها، وإحسانها بإتمامها على الصفة الشرعية الثابتة عن رسول الله ﷺ، ومراعاة سننها وآدابها، وهي أول ما ينشغل به العبد في حياته كلها.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجْله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته». [أخرجه البخاري: ٦٥٠٢].

قال الحافظ رحمه الله: «وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به: امتثال الأمر، واحترام الآمر، وتعظيمه بالانقياد إليه، وإظهار عظمة الربوبية، وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل». [فتح الباري: ١١ / ٣٥١].

أيام العشر من ذي الحجة أعظم الأيام عند الله تجتمع فيها أمهات العبادة كالصلاة والصيام والصدقة والحج، فعلى العبد أن يعمرها بالطاعات، ويكثر فيها من التهليل والتكبير والتحميد

رابعا: الذكر

وله مزية خاصة على غيره من الأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أيام العشر، أي: يحمدونه ويشكرونه على رزقهم من بهيمة الأنعام، ويدخل فيه: التكبير والتسمية على الأضحية والهدي؛ ولقوله ﷺ: «فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد».

خامسا: التكبير

يسن إظهار التكبير في المساجد والمنازل والطرقات والأسواق وغيرها، إعلانًا بتعظيم الله تعالى.

ولم يثبت في صيغ التكبير شيء عن النبي ﷺ، وأصح ما ورد فيه قول سلمان: «كبروا الله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا». وهناك صيغ وصفات أخرى وردت عن الصحابة والتابعين [فتح الباري: ٢ / ٥٣٦].

وسنة التكبير في عصرنا صارت من السنن المهجورة عند كثير من الناس، فهل من مشمر لإحيائها؛ لينال الأجر العظيم، قال رسول الله ﷺ: «من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي، فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا». [رواه ابن ماجه وصححه الألباني: ١٧٣].

وقد ثبت أن ابن عمر وأبا هريرة رضي الله عنهما كانا يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما. [البخاري، كتاب العيدين، باب العمل في أيام التشريق].

> كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما، وهذه السنة صارت في عصرنا من السنن المهجورة، فلنحرص على إحيائها وإشاعتها في الناس

وكان ابن عمر أيضًا يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه وممشاه. [البخاري: باب التكبير أيام منى].

سادسًا: الصيام

عن هنيدة بن خالد عن امرأته قالت: حدثني بعض نساء النبي ﷺ، أن النبي ﷺ كان يصوم يوم عاشوراء، وتسعًا من ذي الحجة، وثلاثة أيام من الشهر؛ أول اثنين من الشهر، وخميسين. [أخرجه النسائي وصححه الألباني: ٢٣٧٢].

وأما ما جاء في حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ صائمًا في العشر قط». وفي رواية: «لم يصم العشر».

قال العلماء: فهذا الحديث مما يوهم كراهة صوم العشر، والمراد بالعشر هنا: الأيام التسعة من أول ذي الحجة، قالوا: وهذا مما يتأول فليس في صوم هذه التسعة كراهة، بل هي مستحبة استحبابًا شديدًا لا سيما التاسع، وهو يوم عرفة، وقد سبقت الأحاديث في فضله وثبت في صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل منه في هذه». يعني: العشر الأوائل من ذي الحجة، فيتأول قولها: لم يصم العشر، أنه لم يصمه لعارض مرض أو سفر أو غيرهما، أو أنها لم تره صائمًا فيه، ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الأمر، ويدل على هذا التأويل حديث هنيدة بن خالد السابق ذكره. [انظر: مسلم بشرح النووي، كتاب الاعتكاف].

وقد علل ابن حجر ترك الصوم في هذه الأيام لكون النبي ﷺ كان يترك العمل وهو يحب أن يعمله خشية أن يُفرض على أمته، كما رواه الصحيحان من حديث عائشة أيضًا. [الفتح: ٢ / ٥٣٤].

وبذلك يتضح المراد من استحباب صوم الأيام التسع من ذي الحجة.

سابعًا: الأضحية

وهي شعيرة من شعائر الدين الظاهرة، وهي النسك العام في جميع الأمصار، وقد ورد فيها من النصوص ما يدل على عظم منزلتها، قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. والمراد بالنحر هنا الأضحية، والصلاة هي (صلاة العيد)، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، والنسك هو الذبح تقربًا إلى الله تعالى، وعن أنس رضي الله عنه قال: «ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده، وسمى وكبَّر، ووضع رِجْله على صفاحهما». [البخاري: ٢٣٧٦].

وقال ﷺ: «من كان له سعة ولم يُضحِّ فلا يقربنَّ مصلانا». [أحمد ٨٠٧٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٤٩٠].

ويجب على من عزم على الأضحية ألا يأخذ من شعره وأظفاره شيئًا؛ لقول النبي ﷺ: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة، وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره». [مسلم: ١٩٧٧].

ثامنًا: صلاة العيد

والعيد شعيرة من أعظم شعائر الإسلام، ومظهر من أجلّ مظاهره، والناس يجتمعون فيه أعظم من اجتماعهم للجمعة، وقد أمر النبي ﷺ بخروج النساء لصلاة العيد، ولم يستثن منهن أحدًا، حتى إنه أمر من كان عندهن عذر يمنعهن من الصلاة بالخروج إلى المصلى؛ ليشهدن الخير ودعوة المسلمين، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يخرج يوم العيد، فيكبر حتى يأتي المصلى وحتى يقضي الصلاة، وحكمة التكبير في العيد هي مضادة المشركين لما يفعلونه من تعظيم لأوثانهم خاصة الذبح لهم.

يوم عرفة

وقد زاد هذا اليوم فضلاً ومزية على غيره، فاستحق أن يخص بحديث مستقل يكشف عن أوجه تفضيله وتشريفه، ومن تلك الأوجه ما يلي:

أولاً: أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة:

فقد روى البخاري في «صحيحه»: «قالت اليهود لعمر: إنكم تقرءون آية، لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين كان رسول الله ﷺ حين أنزلت: يوم عرفة، إنا -

والله - بعرفة، قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ [المائدة:٣]. وإكمال الدين في ذلك اليوم حصل؛ لأن المسلمين لم يكونوا حجوا حجة الإسلام من قبل، فكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلها؛ ولأن الله أعاد الحج على قواعد إبراهيم عليه السلام، ونفى الشرك وأهله، فلم يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد، وأما إتمام النعمة فإنما حصل بالمغفرة، فلم تتم النعمة بدونها، كما قال الله تعالى لنبيه: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ [الفتح: ٢]. انظر: «لطائف المعارف» (ص٤٨٦، ٤٨٧).

ثانيا: أنه يوم عيد

عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب». [صحيح سنن أبي داود ح٢١١٤].

ثالثا: أن صيامه يكفر سنتين

قال رسول الله ﷺ عن صيامه: «يُكفر السنة الماضية والباقية». [أخرجه مسلم: ح١١٦٣].

رابعاً: أنه يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟» [مسلم: ١٣٤٨]. قال ابن عبد البر: «وهو يدل على أنهم مغفور لهم؛ لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب، إلا بعد التوبة والغفران، والله أعلم». [التمهيد: ١ / ٢٠].

الأعمال المشروعة فيه:

أولاً: صيام ذلك اليوم

ففي صحيح مسلم قال ﷺ: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده». [مسلم: ١١٦٢].

وصومه إنما شُرع لغير الحاج، أما الحاج فلا يجوز له ذلك.

ويتأكد حفظ الجوارح عن المحرمات في ذلك اليوم، كما في حديث ابن عباس، وفيه: «إن هذا اليوم من مَلَك فيه سمعه وبصره ولسانه؛ غُفر له». [رواه أحمد في مسنده ح٣٠٤٢، وصححه الشيخ أحمد شاكر].

ولا يخفى أن حفظ الجوارح فيه حفظ لصيام الصائم، وحج الحاج، فاجتمعت عدة أسباب معينة على الطاعة وترك المعصية.

ثانيًا: الإكثار من الذكر والدعاء

قال النبي ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له». [رواه الترمذي وصححه الألباني: ٢٨٣٧].

قال ابن عبد البر: «وفي الحديث دليل على أن دعاء يوم عرفة مجاب في الأغلب، وأن أفضل الذكر: لا إله إلا الله». [التمهيد: ٦ / ٤١].

قال الخطابي: معناه: أكثر ما أفتتح به دعائي، وأقدمه أمامه من ثنائي على الله عز وجل، وذلك أن الداعي يفتتح دعاءه بالثناء على الله سبحانه وتعالى، ويقدمه أمام مسألته، فسمِّي الثناء دعاءً.

ثالثًا: التكبير

والتكبير نوعان:

الأول: التكبير المطلق: وهو المشروع في كل وقت من ليل أو نهار، ويبدأ بدخول شهر ذي الحجة، ويستمر إلى آخر أيام التشريق.

الثاني: التكبير المقيد: وهو الذي يكون عقب الصلوات، والمختار: أنه عقب كل صلاة، فريضة أو نافلة، وأنه يبدأ من صبح عرفة إلى آخر أيام التشريق، وهذا اختيار البخاري. [انظر: الفتح ٢ / ٥٣٥].

وخلاصة القول: أن التكبير يوم عرفة والعيد، وأيام التشريق يُشرع في كل وقت - وهو المطلق-، ويشرع عقب كل صلاة -وهو المقيد-.

يوم النحر

لهذا اليوم فضائل عديدة: فهو يوم الحج الأكبر، وهو أفضل أيام العام؛ لحديث: «إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر ثم يوم القر». [أبو داود وصححه الألباني: ١٥٥٢].

ويوم القر: هو اليوم الذي يلي يوم النحر؛ سمي بذلك لأن الناس يقرون فيه بمنى.

وهو بذلك أفضل من عيد الفطر؛ وذلك لكونه يجتمع فيه الصلاة والنحر، وهما أفضل من الصلاة والصدقة. [لطائف المعارف ص٤٨٢].

والإسلام بذلك قد صبغ العيدين بصبغة العبادة والخشوع إلى جانب الفسحة واللهو المباح. وقد شرع الله في يوم النحر من الأعمال العظيمة - كالصلاة، والتكبير، ونحر الهدي، والأضاحي، وبعض مناسك الحج- ما يجعله موسمًا مباركًا للتقرب إلى الله تعالى، وطلب مرضاته، لا كما هو حال الكثير ممن جعله يوم لهوٍ ولعب فحسب، إن لم يجعله يوم أشر وبطر، والعياذ بالله.

وختامًا فها هي فضائل العشر قد لاحت وبانت، وها هي ثمارها قد حان قطافها للآكلين، ودانت، فشمروا عن ساعد الجد، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية الحلقة (١١٣)

قصة المغفرة للظالمين بين عشية عرفة وصباح المزدلفة

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ لبيان حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القُصَّاص والوعاظ، خاصة في أشهر الحج، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة: «قصة المغفرة للظالمين بين عشية عرفة وصباح المزدلفة».

أولاً: متن القصة

يروى عن العباس بن مرداس «أن رسول الله ﷺ دعا ربه عشية عرفة بالمغفرة لأمته، وأن الله أجابه بالمغفرة لأمته إلا من ظُلم بعضهم بعضًا، فإنه أخذ للمظلوم من الظالم، قال: فأعاد الدعاء، فقال: أي رب، إنك قادر أن تثيب المظلوم خيرًا من مظلمته الجنة، وتغفر لهذا الظالم، قال: فلم يُجب تلك العشية شيئًا، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء، فأجابه عز وجل أن قد فعلت، فضحك رسول الله ﷺ أو تبسم، فقال أبو بكر وعمر: والله لقد ضحكتَ في ساعة ما كنت تضحك فيها، فما أضحكك؟ أضحك الله سنك. فقال: ضحكت أن الخبيث إبليس حين علم أن الله قد غفر لأمتي، واستجاب دعائي أهوى يحثي التراب على رأسه، ويدعو بالويل والثبور، فضحكت من الخبيث من جزعه».

ثانيًا: التخريج

أخرج هذه القصة الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/٢١٤) وقال: أنبأنا ابن الحصين أنبأنا ابن المذهب أنبأنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني إبراهيم بن الحجاج، وأنبأنا محمد بن عبد الملك، أنبأنا إسماعيل بن مسعدة أنبأنا حمزة بن يوسف أنبأنا أبو أحمد بن عدي حدثنا علي بن سعيد حدثنا أيوب بن محمد الصالحي قالا: حدثنا عبد القاهر بن السري حدثنا ابن كنانة، وقال ابن الحصين: حدثنا عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس السلمي أن أباه حدثه عن أبيه العباس بن مرداس «أن رسول الله ﷺ دعا ربه عشية عرفة بالمغفرة لأمته...» القصة.

وأخرجه الإمام ابن عدي في «الكامل» (٨/٧٤) (١٠/١٦٠٨) قال: حدثنا علي بن سعيد به.

ثالثًا: التحقيق

١- هذه القصة واهية ولم يصح الخبر الذي جاءت به، نقل هذا الإمام المزي عن أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري؛ حيث قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٥/٤٢٠/٥٥٨٤) كنانة بن عباس بن مرداس السُلمي والد عبد الله بن كنانة روى حديثه عبد القاهر بن السري عن عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ دعا لأمته عشية عرفة... الحديث.

قال البخاري: ولم يصح. اهـ.

٢- وهذا الخبر الذي جاءت به القصة أيضًا ضعيف جدًا، وكنانة ساقط الاحتجاج كما بيَّن ذلك الإمام ابن حبان في كتابه «المجروحين»؛ حيث قال: كنانة بن العباس بن مرداس السلمي: يروي عن أبيه، روى عنه ابنه، منكر الحديث جدًا فلا أدري التخليط في حديثه منه أو من ابنه، ومن أيهما كان فهو ساقط الاحتجاج بما روى؛ لعظيم ما أتى من المناكير عن المشاهير». اهـ.

٣- قال ابن عدي في «الكامل» (٨/٧٤) (١٠/١٦٠٨): كنانة بن عباس بن مرداس روى عن أبيه ولم يصح، سمعت ابن حماد يذكره عن البخاري». اهـ.

٤- قلت: والخبر الذي جاءت به هذه القصة غريب؛ حيث انفرد به عبد القاهر بن السري عن

عبد الله بن كنانة بن العباس، لذلك قال ابن عدي: وعبد القاهر بن السري لم يحدث بهذا الحديث غيره عن عبد الله بن كنانة بن العباس. اهـ.

٥- قلت: وتظهر هذه الغرابة من تجميع ابن عدي لطرق الحديث الذي جاءت به هذه القصة؛ حيث قال في «الكامل» (٨/٧٤) (١٠/١٦٠٨):

أ- أخبرنا الفضل بن الحباب ثنا أبو الوليد.

ب- وأخبرنا أبو يعلى ثنا إبراهيم بن الحجاج الشامي قالا: ثنا عبد القاهر بن السري السلمي حدثني ابنٌ لكنانة بن العباس بن مرداس السلمي أن أباه حدثه عن أبيه العباس بن مرداس أن رسول الله £ دعا ربه... القصة.

جـ- وحدثنا علي بن سعيد - واللفظ له - ثنا أيوب بن محمد الصالحي ثنا عبد القاهر بن السري السلمي ثنا عبد الله بن كنانة بن العباس بن مرداس السلمي أن أباه حدثه عن أبيه العباس بن مرداس أن رسول الله £ دعا ربه عشية عرفة... القصة.

٦- ولقد بيَّن الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٤١٥/٦٩٨٠) عدم صحة الخبر ونكارته؛ حيث قال: كنانة بن العباس بن مرداس السُلمي عن أبيه في ذكر يوم عرفة.

قال البخاري: لم يصح حديثه.

ثم قال الذهبي: رواه أبو داود الطيالسي عن أبيه عن عبد القاهر بن السري حدثني ابنٌ لكنانة

التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وربه فلها شروط ثلاثة:
١- أن يقلع عن المعصية.
٢- أن يندم على فعلها.
٣- أن يعزم على عدم العود.
وإن كانت في حق آدمي فيضاف إليها رد المظالم إلى أهلها

لأمته بالمغفرة والرحمة، فأجابه إني قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضًا... الحديث. اهـ.

٧- قلت: بهذا التحقيق تصبح قصة المغفرة للظالمين بين عشية عرفة وصباح المزدلفة قصة واهية، ومن الغرائب، ولم تصح كما بيَّن ذلك أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري.

رابعًا: بدائل صحيحة تدل على نكارة القصة

١- لقد بيّنّا أن القصة منكرة ولا تصح، ومتنها كذلك منكر؛ حيث إنه جاء في المتن أن الله أجابه بالمغفرة لأمته إلا من ظلم بعضهم بعضًا، وذلك في عشية عرفة، ثم أعاد النبي £ عندما أصبح بالمزدلفة الدعاء، فأجابه الله بمغفرته للظالم الذي ظلم الناس، وهذا مخالف لدلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ حيث نقل الإمام النووي في كتابه «رياض الصالحين» في «باب التوبة» إجماع العلماء فقال رحمه الله: قال العلماء: «التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبدًا؛ فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه ردّه إليه، وإن كانت حدّ قذف ونحوه مكّنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبةً استحلها منه. اهـ.

٢- ولقد أخرج مسلم في صحيحه (ح٢٥٨١): حدثنا قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر قالا: حدثنا إسماعيل (وهو ابن جعفر) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله £ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضَى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحَت عليه ثُم طُرِحَ في النار».

٣- وأخرجه أحمد (٨٠٣٥، ٨٤٢٢، ٨٨٥١)، والترمذي (٢٤١٨)، وابن حبان (٤٤١١)، والبغوي (٤١٦٤)، والبيهقي (٦/٩٣) من طرق عن العلاء عن أبيه به بألفاظ متقاربة.

٤- والقصة تبين أن الظالم مهما ظلم (من أكل تراث وهتك عرض وغيره) فقد غفرت ذنوبه؛ لأنه

من أمة محمد ﷺ، وهذا أمر من أشد النكارة، حيث أخرج مسلم في صحيحه (ح١٦١٠) قال: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وعلي بن حجر قالوا: حدثنا إسماعيل (وهو ابن جعفر) عن العلاء بن عبد الرحمن عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا طوَّقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين».

والحديث أخرجه أحمد (١٦٣٣، ١٦٣٩، ١٦٤١)، والبخاري (٢٤٥٢، ٣١٩٨)، والدارمي (٢٦٠٦)، وعبد الرزاق (١٩٧٥٥)، وأبو يعلى (٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٩، ٩٦٢).

قصة صحيحة

قُلْتُ: ولهذا الحديث قصة صحيحة تبين عاقبة الظلم، وأن المظالم إذا تعلقت بآدمي فمن شروط التوبة منها أن يتحلل عند صاحبها؛ فإن كانت مالاً أو نحوه ردَّه إليه، فقد أخرج مسلم في صحيحه في كتاب «المساقاة» باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها (ح ١٦١٢) قال: حدثنا أبو الربيع العتكي، حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طُوِّقَه إلى سبع أرضين». فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فعَمِّ بصرها، واقتلها في أرضها.

قال: فما ماتت حتى ذهب بصرُها، ثم بَيْنَا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت.

قُلْتُ: بهذه البدائل الصحيحة تظهر نكارة القصة «قصة المغفرة للظالمين بين عشية عرفة وصباح المزدلفة».

لذلك قال الإمام ابن القيم في كتابه «المنار المنيف» فصل (٦): «ونحن ننبِّه على أمور كلية يُعرف بها كون الحديث موضوعًا».

فقال في التنبيه (٤):

«ومنها مناقضة الحديث لما جاءت به السنة الصريحة مناقضة بيِّنة، فكل حديث يشتمل على فساد، أو ظلم، أو عبث، أو مدح باطل، أو ذم حقّ، أو نحو ذلك فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه بريء».

قُلْتُ: وهذا ردّ على المستشرقين وغيرهم ممن لا دراية لهم بهذا العلم، حيث ادعوا زورًا وبهتانًا بأن علماء الحديث اهتموا بالسند دون المتن؛ ليتخذوا من هذا البهتان خنجرًا مسمومًا يطعنون به في الصحيحين، ولجهل هؤلاء الطاعنين بعلماء الجرح والتعديل ومناهجهم أشاعوا هذا الزور والبهتان وانطلى على كثير ممن لا دراية لهم بهذا العلم.

ولقد بيّنا في هذا البحث مناهج علماء الجرح والتعديل، فهذا الإمام ابن عدي في «الكامل» لم يكتف بأقوال أهل الجرح والتعديل في كنانة، بل أخرج من المتون ما يدل على مناكيره، ومنها حديث القصة، وكذلك الإمام ابن حبان في «المجروحين» حتى قال عن كنانة: «منكر الحديث جدًا»، وكذلك الإمام الذهبي في الميزان كما بيّنا آنفًا، كذلك الإمام المزي في «تهذيب الكمال» كما بيّنا آنفًا.

وكذلك الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» أورد حديث القصة وبيَّن أنه لا يصح، وأن كنانة حديثه منكر جدًا، وهو ساقط الاحتجاج به، هذا على سبيل المثال لا الحصر في بيان مناهج المحدثين من علماء الجرح والتعديل الذين حفظ الله بهم هذا الدين، لذلك أخرج الإمام مسلم رحمه الله في «مقدمة صحيحه» قول الإمام ابن المبارك رحمه الله: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.









باب الفتاوى ؟



تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

آداب الزفاف

س: أنا مقبل على الزواج، وقد اتفق والدي مع أفراد الفرقة الموسيقية، فنصحني أحد الشباب الملتزمين، وقال لي: هذا العمل من فعل العصاة، فهل هذا صحيح؟ وكيف يتم الزفاف الشرعي حتى يبارك الله لنا في حياتنا الزوجية والأسرية.

الجواب: ينبغي لكل مسلم إذا أراد أن يتزوج أن يبدأ حياته بما يرضي الله تعالى، ولا يغضبه؛ كي تكون البداية ربانية لا شيطانية، ويكون الزواج مؤسسًا على تقوًى من الله ورضوان، وليس مؤسسًا على تزيين الشيطان، وعليه فلا يصلح أن يكون هناك محرمات في الزفاف، كتكشف العروس بملابسها الضيقة الشفافة، وكذلك لا يصلح أن يراها الأجانب وينظرون إليها في زينتها، ولا يصلح أن يكون الغناء محرمًا وبألفاظ تثير الغرائز والشهوات، وكذلك يحرم مصاحبة هذا الغناء مزامير أو موسيقى؛ لقول النبي ﷺ: «ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر، والحرير، والخمر، والمعازف». [رواه البخاري].

القصر لسائق القطارات

س: ما حكم قائد السيارة أو القطار الذين يسافرون يوميًا لمدة ساعات طويلة، وهل يظل يقصر في السفر في الصلاة طوال حياته؟

الجواب: كل من خرج من بيته مسافرًا مسافة قصر ثبتت في حقه الرخصة، فإن أخذ بالرخصة فله ذلك، والأفضل أن يأخذ بالرخصة التي رخَّص الله له؛ لقول النبي ﷺ: «رخصة الله التي رخص لكم فاقبلوها»[صحيح ابن خزيمة ١٨٩٧]. ولقوله ﷺ: «إن الله يحب أن تؤتى رُخصه كما يحب أن تؤتى فرائضه»[صحيح ابن خزيمة ١٨٩٨]. ولو كان السفر متكررًا فله مع التكرار أحكام السفر عامة.

ولو حكَّمنا النظر: لقلنا إن الذي يسافر كل يوم يتعرض للمشقة أكثر من الذي يسافر مرة واحدة أو مرتين، فهو أحق، لكن الجميع لهم أحكام السفر ما داموا مسافرين. والله أعلم.

مواريث

س: توفي رجل وترك زوجة، وبنتًا، وأبناء ابن تُوفي في حياة أبيه، فمن يرث ؟ وما نصيب كل وارث ؟

الجواب: التركة ستوزع كالآتي: الزوجة تأخذ الثمن؛ لوجود الفرع الوارث، والبنت لها النصف، لقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾، والباقي لأولاد الابن، للذكر مثل حظ الأنثيين.



مراتب القدر

س: السيد الأستاذ رئيس تحرير مجلة التوحيد، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فلغرض تحقيق الاتباع وترك الابتداع الذي تجتهدون في نشره بين المسلمين، أرجو أن تجيبوني عن استفساراتي عن البند الأول الذي وضعتموه لمراتب الركن السادس للإيمان، وهو القضاء ومشيئة الله وخلقه لها، بمقال تبصير الأمة بعقيدة أنصار السنة (الحلقة الأولى) بعدد ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، وهو قولكم: الإيمان بعلم الله السابق: وذلك أن نؤمن بأن الله تعالى عليم بالخلق، وبما هم عاملون؛ بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبدًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال:

أ- من واضع هذا التعبير؟

٢- ومنذ متى وُضع؟

٣- وما هو مستنده من الكتاب والسنة حتى يكون اتباعنا على أدلة اليقين؟

وفقنا الله وإياكم للالتزام باليقين وسبيل النجاة والنجاح والفلاح.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجواب:

اعلم أخي السائل أن هذه التعبيرات وضعها أهل العلم استنباطًا وشرحًا لما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة حول قضاء الله تعالى وقدره، فمراتب القدر أربعة:

١- الله عليم بكل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ولما خلق الله سبحانه وتعالى القلم قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة» [رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٠١٧]. والذي كتبه القلم هو من علم الله تعالى قبل أن يحدث.

٢- الله خالق كل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٣- الله كتب كل شيء، كما ورد بالحديث السابق، وكذلك ما ورد بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١١].

٤- لا يحدث شيء في الكون إلا بإرادته سبحانه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وبناءً على هذا يكون ما ورد بالسؤال قد بينه القرآن والسنة من قبل.

أركان الإسلام

س: هل هناك فرق بين أركان الإسلام وأركان الإيمان؟

الجواب: أركان الإسلام خمسة:

١- شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ.

٢- إقامة الصلاة.

٣- إيتاء الزكاة.

٤- صوم رمضان.

٥- حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

أما أركان الإيمان فهي ستة:



١- الإيمان بالله.

٢- وملائكته.

٣- وكتبه.

٤- ورسله.

٥- واليوم الآخر.

٦- والقدر خيره وشره.

ويلاحظ أن أركان الإسلام تخصّ الأعمال الظاهرة، وأركان الإيمان تتصل بالأعمال الباطنة.

زكاة المال

س: لي ابن حاصل على ليسانس الحقوق، ولكنه لا يعمل بسبب إصابته بأمراض كثيرة، فهو يعاني من جلطة بالساق، ودهون على الكبد، وغيره من الأمراض، وينفق المال الكثير على الأطباء والتحاليل والعلاج؛ حيث إنه غير مشترك في أي نظام علاج، وقد منحته مبلغًا من المال أودعته في بنك فيصل الإسلامي ليدرّ عليه ربحًا شهريًا يعيش منه هو وأسرته؛ حيث إنه متزوج وله طفلة، وليس له أي دخل آخر، ولا يستطيع توفير أي مبلغ من أرباحه، وهو يعيش عيشة متوسطة ليس فيها إسراف، ولا يخفى عليكم أن أرباح البنك في انخفاض، في حين يتزايد أسعار المواد الضرورية، مما يجعلني أساعده في كثير من الأحيان لمواصلة علاجه، واستكمال ضرورات الحياة الأساسية، فهل يقوم بدفع زكاة عن المال الموجود بالبنك؟

الجواب: أي مال يدّخره الإنسان المسلم يبلغ النصاب، ويحول عليه الحول، تجب فيه الزكاة؛ لأن الزكاة حق المال، وقد قال النبي ﷺ: «زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم».[البخاري ١٣٩٥]، فمن ملك النصاب صار غنيًا، وعليه أن يُخرج الزكاة مهما كانت نفقته، ولا يمتنع عن إخراج الزكاة إلا إذا قل ماله عن النصاب، سواء كان هذا المال من كسبه، أو أُهدي إليه، ولا يخشى المسلم الفقر أو الفاقة، فإن الله يرزق من يشاء بغير حساب، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

لا توريث حال الحياة

س: انتشرت في الآونة الأخيرة عادة تنافس النساء في الإسراف في تجهيز بناتهن لبيت الزوجية؛ تظاهرًا وتفاخرًا على حساب رب الأسرة، وقد تصل قيمة الجهاز إلى ما يقرب من ثلاثين ألف جنيه أو أكثر، وقد كان هذا التنافس سببًا في حرمان البنت من ميراثها الشرعي في بعض العائلات، والبعض الآخر يكتفي بخصم قيمة الجهاز فقط من الميراث. فهل هذا جائز؟

الجواب: الأب عليه أن ينفق على أبنائه وبناته كلّ على حسب احتياجاته من زواج وتعليم، وأن يعدل بينهم؛ لأن ﴿اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. وقد يزوج الرجل ابنًا له يتكلف مهره وجهازه عشرين ألفًا من الجنيهات، ثم يتكلف مهر أخيه وجهازه بعده بسنتين مثلاً أربعين ألفًا، لنفس الجهاز ونفس المواصفات، ويكون الأب حينئذ قد عدل بينهم.

لكن ليس على الوالد أن يقابل هذه المصروفات بمنع الميراث؛ لأنه لا ينبغي الكلام في توزيع الميراث قبل وفاة الوالد، فقد يبقى الوالد ويعيش بعد وفاة أولاده أجمعين، ولا يجوز الحديث عن التركة إلا إذا ترك الأب الدنيا والمال، وهذا هو الشرع الذي شرعه الله لعباده.



الغفلة

إعداد/ محمد رزق ساطور

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

من الأمراض التي استشرت وانتشرت بين الناس مرض الغفلة، وهذا المرض لا يفرق بين جاهل وعالم، بل يصيب كلاً على قدر استجابته، وتقبله للغفلة، والغفلة سهو يعتري العبد من قلة التحفظ والتيقظ، بل تصيب العبد بأنواع من التبلد وقلة الإحساس؛ حتى لا يشعر أنه بَدَّل وغَيَّر أو تغير، فيرضى عن نفسه وهو متقلب فيها، وتنشأ أيضًا هذه الغفلة بسبب الذنوب والمعاصي، ولا تزال تزداد حتى تُطبق على العبد وتُوقعه في الكفر عياذًا بالله تعالى، ولقد جاءت مادة الغفلة في القرآن الكريم في مواضع متعددة، نذكرها في هذا المقال، ثم في المقال القادم إن شاء الله نبين أسباب الغفلة وعلاجها.

الأول: غفلة الكفار المغبونين بالإعراض عن الإيمان، قال جل ذكره: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١]

أي: في غفلة تامة وجهالة عامة من توحيده تعالى، والإيمان بكتبه ورسله عليهم السلام، فهم لم يعرفوا ربهم حق المعرفة، ولو عرفوه حق المعرفة ما غفلوا عن ذكره، وتوحيده وأوامره ونواهيه؛ لأن المعرفة الحقيقية تُورث القلب تعظيم الله سبحانه ومحبته وخوفه ورجاءه، فيستحي العبد عند ذلك أن يَراه ربُّه على معصية، وكذا في غفلة عن وقوع الحساب، ووجود الثواب والعقاب، وسائر ما جاء به النبي ﷺ.

وذكر غفلتهم عن ذلك عقيب بيان اقتراب الحساب لا يقتضي قصر الغفلة عليه، فإن وقوع تأسفهم وندامتهم، وظهور أثر جهلهم وحماقتهم لما كان مما يقع في يوم الحساب كان سببًا للتعقيب المذكور، مع أن اقتراب الحساب يقتضي أن يفيق العبد، ويبتعد عن الغفلة، ورحم الله من قال:

بالموت ينتبهُ الفتى من غفلةٍ
صحبتهُ طول حياته وسنانا

الثاني: غفلة مقيدة بإقرارهم واعترافهم، قال سبحانه: ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، فهؤلاء الكفار تشخص أبصارهم، أي ترتفع إلى فوق من دون أن تطرف من شدة الهول، يتحسرون على أنفسهم أن كانوا في غفلة تامة عن يوم القيامة، وعن البعث والجزاء والرجوع إلى الله تعالى، فإنهم لم يكتفوا بأن وصفوا أنفسهم بالغفلة، بل بالظلم؛ لأنهم تركوا آيات الله، وكذَّبوا بها، فانظر كيف صنعت الغفلة بأهلها؟!

لقد أقروا واعترفوا على أنفسهم مع أن المتوقع أن يتنصلوا منها، فقد ذكر الله تعالى أقوامًا، فقال جل ذكره: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ . ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ .

انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢-٢٤].

وهذا فريق آخر من أهل النار يبالغون في الإنكار، فيشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩-٢١]، لكن أهل الغفلة اعترفوا على أنفسهم بها.

الثالث: غفلة شهد عليهم بها القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩]. قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أنذر هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم على ما فرطوا في جنب الله، وأُورثت مساكنهم في الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأُدخلوا هم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها من حسرة وندامة».

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا» [مسلم ٢٨٥١].

الغفلة سهو يعتري العبد من قلة التحفظ والتيقظ، بل تصيب العبد بأنواع من التبلد وقلة الإحساس.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: أَلَا يَتْبَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، فَيُمَثَّلُ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ صَلِيبُهُ، وَلِصَاحِبِ التَّصَاوِيرِ تَصَاوِيرُهُ، وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ، فَيَتْبَعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَيَبْقَى الْمُسْلِمُونَ فَيَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ اللَّهُ رَبُّنَا هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنَا، وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ، ثُمَّ يَتَوَارَى، ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيَقُولُ: أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ اللَّهُ رَبُّنَا، وَهَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنَا وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ، قَالُوا: وَهَلْ نَرَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ تِلْكَ السَّاعَةَ، ثُمَّ يَتَوَارَى، ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيُعَرِّفُهُمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّبِعُونِي، فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَيَبْقَى أَهْلُ النَّارِ فَيُطْرَحُ مِنْهُمْ فِيهَا فَوْجٌ، ثُمَّ يُقَالُ: هَلِ امْتَلَأْتِ؟ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ ثُمَّ يُطْرَحُ فِيهَا فَوْجٌ فَيُقَالُ: هَلِ امْتَلَأْتِ؟ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى إِذَا أُوعِبُوا فِيهَا وَضَعَ الرَّحْمَنُ قَدَمَهُ فِيهَا وَأَزْوَى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: قَطْ، قَالَتْ: قَطْ قَطْ، فَإِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ، قَالَ: أُتِيَ بِالْمَوْتِ مُلَبَّبًا فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ، فَيُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ: قَدْ عَرَفْنَاهُ هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي وُكِّلَ بِنَا، فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ» [الترمذي ٢٥٥٧،

وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٠٢٥].

فائدة: ما جاء في هذا الحديث من صفات الله تعالى مثل الرؤيا والقدم وغيرها نؤمن بها كما جاءت، بلا تكييف، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي مَن سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر لها معطِّل، والمكيِّف مشبِّه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فالله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال المفسرون: فهذه هي الحسرة إذا ذُبح الموت، فلو مات أحد فرحًا مات أهل الجنة، ولو مات أحد حزنًا مات أهل النار.

الرابع: غفلة مقيدة بشهادة الملائكة المقربين، قال سبحانه: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ. لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢١-٢٢].

والمعنى: لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت أيها الإنسان من الأهوال والشدائد فكشفنا عنك غطاءك، أي: فجلَّيْنا ذلك لك، وأظهرناه لعينيك حتى رأيته وعاينته، فزالت الغفلة عنك.

الخامس: غفلة الأوثان عن عبادة من عبدوها، أعني أن الأوثان كانت غافلة عن عبادة المشركين لها، قال ربنا جل وعز: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ . فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [يونس:٢٨-٢٩].

قال القرطبي: «غافلين لا نسمع ولا نبصر ولا نعقل؛ لأنا جماد لا روح فينا». وحتى لو كان هؤلاء الشركاء -الذين عبدوهم من دون الله- أنبياء أو صالحين أو ملائكة أو جن لكانوا عن عبادتهم غافلين، لا يعلمون عنها شيئًا، ويوم القيامة يتبرءون من عبادتهم، وهذه غفلة مطبقة على أهل الشرك؛ لأنهم يعبدون آلهتهم بزعم أنها تقربهم إلى الله، وتدفع عنهم الضر، وتجلب لهم النفع، وما إلى ذلك من افتراءاتهم، فكيف يكون حالهم حين يعلمون أن هؤلاء الشركاء لا يدرون شيئًا عن عبادتهم ولم يشعروا بها؟

فالذين يتوجهون إلى قبور الموتى ومقاصيرهم، فيتمسحون بها، ويعتقدون فيها النفع والضر، ويسجدون على أعتابهم، ويسكبون عندها العبرات، ويسألونهم كشف الكُرُبَات، هؤلاء الموتى لا يعلمون عنهم شيئًا، فلا يسمعونهم، ولا يشعرون بهم ولا بغيرهم، يقول سبحانه: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]. وقال سبحانه: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١].

السادس: غفلة تبعدهم عن أحكام آيات الله سبحانه، قال جل شأنه: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٣٦]، والغفلة مجاز عن عدم الذكر والمبالاة، أي بسبب تكذيبهم بالآيات، وعدم مبالاتهم بها وتفكرهم فيها، بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية، وإلا فالمكذِّب بأمر لا يكون غافلاً عنه؛ للتنافي بين الأمرين، وفي ذلك إشارة إلى أن من شاهد مثلها لا ينبغي له أن يكذِّب بها مع علمه بها.

ولقد ابتُلينا في أيامنا هذه بغفلة عن أحكام آيات الله؛ لدرجة جعلت الناس يستهينون بالأحكام الشرعية، فيتصرفون معها تارة بالإنكار، وتارة بالطعن في أهلها، وتارة بمسايرة الركب، والطعن في ثوابت هذا الدين، وتارة في القول على الله بغير علم؛

تنشأ الغفلة بسبب الذنوب والمعاصي، ولا تزال تزداد حتى تطبق على العبد وتوقعه في الكفر والعياذ بالله.

بزعم أنهم أوصياء على الدين، مما جعل العفة والحجاب والنقاب تهمة وريبة تُمنَع بها العفيفة الشريفة العابدة المطيعة من ورود الأماكن العامة ودخول الجامعات، وتُفتَح الأبواب المغلقة للسافرة المتبرجة الكاسية العارية بلا نكير ولا تحذير.

السابع: غفلة شُبِّهوا فيها بالأنعام من الحيوان، قال جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

فهؤلاء لهم قلوب لا يعقلون بها؛ لأنهم لا ينتفعون بها، ولا يعقلون ثوابًا ولا عقابًا، ولا يميزون بين الحق والباطل، هؤلاء عطَّلوا قلوبهم وساء فهمهم، وانتكسوا إلى أسفل سافلين، وانحطوا إلى دركة الحيوان البهيم، فاستحقوا أن يُوصفوا بأنهم أضلّ من الأنعام.

وكذلك عطلوا جوارحهم، فمع أنهم لهم أعينًا إلا أنهم لا يبصرون بها الهدى، ولهم آذانًا لا يسمعون بها الحق ولا المواعظ، فكل همهم الطعام والشراب، فهم أضل من الأنعام؛ لأنها تبصر منافعها ومضارها، وتتبع مالكها، وهم بخلاف ذلك؛ فقد عطَّلوا جوارحهم، وتصرفوا بأهوائهم، فقال الله عنهم: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤].

الثامن: غفلة؛ تقدس الله وتعالى عنها وهي منفية عنه سبحانه، يقول سبحانه: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤].

التاسع: غفلة عن أعمال الظالمين تعالى الله وتقدس وتنزه عنها، قال سبحانه ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

العاشر: غفلة يتمناها أهل الكفر لأهل الإيمان؛ لينقضُّوا عليهم ويهلكوهم، قال سبحانه: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء:١٠٢]. فليحذر أهل الإيمان من الغفلة التي يتمناها لهم عدوهم؛ حتى ينقضوا عليهم، ولما غفل المسلمون عن دينهم شيئًا، انقض أعداء الله وبدلوا الشرع بقوانين فاسدة باطلة، وغيَّروا حكم الله المحكم، وذهبوا يحكمون بأهوائهم، وعاثوا في الأرض فسادًا؛ ألا فليفق المسلمون من غفلتهم، حتى يزيلوا الكفر والشرك والباطل من على ظهر الأرض، ويغيِّروا ما أفسده المبطلون.

وإن هذه الغفلة لمن أشد العقوبات على أهل المعاصي؛ لأنها تجعلهم سكارى عن الحق، نعوذ بالله من الغفلة، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمله» [جامع بيان العلم وفضله].

وكان الإمام أبو حنيفة رحمه الله إذا أشكلت عليه مسألة، قال لأصحابه: ما هذا إلا لذنب أحدثتُه، وكان يستغفر، وربما قام وصلى فتنكشف له المسألة، ويقول: رجوت أني تِيبَ عليَّ. فبلغ ذلك الفضيل بن عياض فبكى بكاءً شديدًا، ثم قال: ذلك لقلة ذنبه، فأما غيره فلا ينتبه لهذا إلا أن يشاء الله..».

وجاء في ترجمة وكيع بن الجراح الكوفي -وهو أحد الأئمة الأعلام الحفاظ، وقد كان الناس يحفظون تكلفًا، ويحفظ هو طبعًا-، قال علي بن خشرم: رأيت وكيعًا وما رأيت بيده كتابًا قط، إنما هو يحفظ، فسألته عن دواء الحفظ؟ فقال: ترك المعاصي، ما جرَّبت مثله للحفظ».

الحادي عشر: غفلة المؤمنات عما يقوله عنهن أهل الكيد والنفاق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]. إلى غير ذلك من المواضع الأخرى، وقد أوردنا أكثرها ونكتفي بهذا، ونلتقي في المقال القادم بإذن الله للحديث عن: «الغفلة أسباب وعلاج».

الشيخ / محمد البنا حياة طويلة وجهاد كبير في الدعوة إلى الله

١٩١٢ - ٢٠٠٩م

إعداد/ فتحي أمين عثمان

اسمه: محمد عبد الوهاب مرزوق البنا.

مولده: ولد في عام ١٩١٢م.

تعليمه: حصل على درجة البكالوريا.

- عمل موظفًا بوزارة الأوقاف، وقد زامله فيها الشيخ محمد صادق عرنوس.

- انضم إلى جماعة أنصار السنة عام ١٩٣٦م، وصار عضو مجلس إدارة المركز العام زمن الشيخ محمد حامد الفقي، رحمه الله.

- شغل منصب مراقب عام الجماعة، وكان له نشاط كبير في إشهار فروع الجماعة.

- كان من أقرانه في زمن وجوده في مصر: الشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ خليل هراس، والشيخ عرنوس، والشيخ أبو الوفاء درويش، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ محمد علي عبدالرحيم.

- انتُدِبَ للعمل بالمملكة العربية السعودية، فكان ممن ساهمَ في نشر التعليم النظامي بها، ولم يسبقه إلى العمل بالسعودية إلا الشيخ حامد الفقي، والشيخ أبو السمح، والشيخ عبد الرزاق حمزة، وصفي الدين أبو حجر، وكان هو من الجيل الثاني.

درَّس في الجامعة الإسلامية، كما ألقى درسًا في الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، وكان ممن عاصرهم في المملكة وكان على صلة بهم: الشيخ ابن باز، والشيخ ابن حميد، والشيخ الخياط، والشيخ عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم، والشيخ إبراهيم بن حمد بن إبراهيم آل الشيخ.

كان الشيخ محمد البنا -رحمه الله- واحدًا من الرعيل الأول الذين ناصروا مؤسس الجماعة الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- في زمن كان الانتماء إلى الجماعة يُعتبر مجازفة في الحياة لا تؤمن عقباها، وقد حكى لي كيف جاء إلى أنصار السنة وهو شاب صغير.

يقول: دخلت المسجد في العباسية في صلاة العشاء، فجلس رجل يلقي درسًا، فقال: من قال: إن الله في السماء فقد كفر، فقلت له: ماذا نقول في حديث الجارية، فغضب وقال: هو أنت منهم، ثم أردف أدِّبُوه، فقام أتباعه يحاولون العدوان عليه بالنعال، فقال: وكنت قويًا فتغلبت عليهم وخرجت من المسجد.

وفي اليوم التالي كنت أعمل في وزارة الأوقاف، وكان يعمل معي في الوزارة الشيخ محمد صادق عرنوس، فلما علم بما حدث لي قال: نكتب إلى رجل يسمى محمد بن عبد السلام بالحوامدية نسأله عن الجماعات الموجودة على الساحة، فكتب له وكان رده: جماعة أنصار السنة هي خير جماعة، وكان ذلك عام ١٩٣٦م.

فجاء الشيخ محمد البنا إلى أنصار السنة المحمدية، وكان أحد ثلاثة انضموا إلى الجماعة في هذا الوقت، وكانوا فاتحة خير للجماعة، وأبرز معين للشيخ حامد الفقي وهم الشيخ محمد صادق عرنوس، والذي عيِّن وكيلاً للجماعة، كما عهد إليه بإدارة مجلة الهدي النبوي. والشيخ رشاد الشافعي سكرتير الجماعة، ومراقب عام الجماعة، والشيخ محمد البنا، وانطلقوا في البلاد ينشرون الدعوة، ويشهرون الفروع، فكانوا أصحاب عطاء كبير.

- في ذلك الوقت نقل إلى القاهرة الشيخ محمد عبد الحليم الرمالي، وهو من أوائل من نادى بالعقيدة الصحيحة، فصار الثلاثة من خلصائه، وكان الأربعة يصلون المغرب في مسجد بجوار السيدة زينب رضي الله عنها، ثم يدخلون إلى المسجد ليلقي الشيخ الرمالي الدروس في التوحيد، وقبل صلاة العشاء بخمس دقائق ينصرفون من المسجد حتى لا يصلوا العشاء فيه.

- ومن الأمور التي لا تُنسى في حياة الشيخ محمد البنا، وهي كثيرة أنه كان يبذل من ماله في سبيل الدعوة.

كان الشيخ محمد البنا كما حكى لي الشيخ محمد علي عبد الرحيم، الرئيس السابق يملك قوة بدنية هائلة، كما كان يتمتع بذكاء واسع وضبط للنفس كبير وهدوء بالغ الأثر في الآخرين، وكان كثير السؤال عن إخوانه حتى ممن تركوا الجماعة، وأنشأوا جماعة أخرى، كما كان يتميز بالصبر الجميل في مواجهة شدة إخوانه، وقد حدث هذا منه معي، مما أثمر مودة بالغة وتشجيعًا على إحياء تراث الجماعة، ولا ننسى أنه كان شديد المحبة لإخوانه الراحلين يذكرهم ويثني عليهم الثناء الجميل.

كان الشيخ محمد البنا محبًا لكثير من العلماء في زمنه، وكان أشدهم محبة عنده محدث العصر الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله.

وفي الختام نقول إنه بوفاة هذا الرجل فقد انتهى الجيل الثاني من الجماعة، ونرجو الله أن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الحلقة السابعة عشرة

إعلام المصلين والولاة بمن

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل مَن ينبغي أن يُحمَد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

ثالثًا: من تكون إمامته على خلاف الأَوْلَى:

١- إمامة الأعمى:

اختلف الفقهاء في حكم إمامة الأعمى للبصير على قولين:

الأول: يرى جواز إمامة الأعمى للبصير، ولأعمى مِثْلِه دون كراهة:

ودليله:

١- عن محمود بن الربيع الأنصاري أن عتبان ابن مالك كان يؤم قومه وهو أعمى، وأنه قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنها تكون الظُّلْمَة والسيل، وأنا رجلٌ ضرير البَصَر، فصلِّ يا رسول الله في بيتي مكانًا أتخذه مصلًى، فجاءه رسول الله ﷺ فقال: «أين تحب أن أصلي؟» فأشار إلى مكان من البيت فصلى فيه رسول الله ﷺ. [البخاري ٦٦٧].

٢- وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم يؤم الناس وهو أعمى. [أبو داود ٥٩٥، وقال عنه الألباني في صحيح سنن أبي داود: حسن صحيح].

٣- وعن الشعبي رحمه الله أنه قال: غزا النبي ﷺ عشر غزوات، كل ذلك يقدم ابن أم مكتوم يصلي بالناس. [معرفة الصحابة لأبي نعيم ٥٠٣٧].

٤- ولأن العمى فقد حاسة لا تُخِلّ بشيء من أفعال الصلاة، ولا بشروطها، فأشبه فاقد الشم.

٥- ولأن الأعمى أخشع في صلاته؛ وذلك لأنه لا يشتغل في الصلاة بالنظر إلى ما يلهيه، فيكون ذلك في مقابلة فضيلة البصير عليه، فيتساويان.

الثاني: يرى جواز إمامة الأعمى للمبصر وللأعمى مثله مع الكراهة:

ودليله:

١- أنه لا يستطيع أن يستقبل القبلة بعلمه، وإنما يحتاج إلى من يوجهه إليها.

٢- ولأنه لا يستطيع أن يتوقى النجاسات ببصره، فربما تلبَّس بها وهو لا يدري، بخلاف البصير.

٣- ولأن البصير لو أغمض عينيه كان مكروهًا، ولو كان تغميض عينيه فضيلة لكان مستحبًّا؛ لأنه يحصل بتغميضه ما يحصله الأعمى.

٤- ولأن البصير إذا غضَّ بصره مع إمكان النظر كان له الأجر فيه؛ لأنه يترك المكروه مع إمكانه اختيارًا، والأعمى يتركه اضطرارًا، فكان أدنى حالاً وأقل فضيلة.

الاعتراض على الأدلة:

اعترض أصحاب الرأي الثاني على أدلة الرأي الأول بالآتي:

١- أجابوا عن حديث عتبان بأنه ورد في بعض الروايات أنه كان يؤم قومه وهو مبصر وليس أعمى، قال السراج البلقيني: «وهذه الروايات التي رواها مالك والشافعي عنه، والبخاري عن إسماعيل عن مالك، ظاهرها أنه كان يؤم قومه وهو أعمى في زمن النبي ﷺ قبل القول الذي قاله للنبي ﷺ، ويؤيده قوله: «وأنا رجل ضرير البصر». ولكن صح في رواية ما يقتضي أنه لم يكن أعمى حينئذ، فقد قال الزهري: حدثني محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي، وإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم.. الحديث. وهذه الرواية بهذه السياقة أخرجها مسلم في صحيحه، وهي دالّة على أن العمى إنما حدث له بعد هذه القصة المروية. اهـ.

٢- وأجابوا عن حديث ابن أم مكتوم بأن استنابته ﷺ لابن أم مكتوم في غزواته لأنه كان لا يتخلف عن الغزو من المؤمنين إلا معذور، فلعله لم يكن في البصراء المتخلفين من يقوم مقامه، أو لم يتفرغ لذلك، واستخلفه لبيان الجواز.

٣- وأجابوا عن قياسهم فقد حاسة البصر على فقد حاسة الشم بأنه قياس مع الفارق؛ إذ إن فقد حاسة الشم لا يخل بشيء من أفعال الصلاة ولا بشروطها، بينما فقد حاسة البصر يؤدي إلى الإخلال بشروط صحة الصلاة غالبًا، كالتوجه إلى

يقدمونه لإمامة الصلاة

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

القبلة، وتوقي النجاسات إذا لم يكن معه من يوجّهه إليها، أو يجنِّبه الوقوع في النجاسات.

٤- وأجابوا عن قولهم: أن الأعمى أخشع في صلاته؛ لأنه لا يشتغل في الصلاة بالنظر إلى ما يلهيه بأن:

أ- البصير لو أغمض عينه كان مكروهًا.

ب- وبأن البصير إذا غضّ بصره مع إمكان النظر كان له الأجر فيه؛ لأنه يترك المكروه مع إمكانه اختيارًا، والأعمى يتركه اضطرارًا فكان أدنى حالاً وأقل فضيلة.

الرأي الراجح:

هو القول الثاني القائل بجواز إمامة الأعمى للبصير مع الكراهة، فإمامة الأعمى تجوز، ولكنها على خلاف الأولى، وذهبنا إليه لقوة أدلة القول الثاني، وسلامتها عن المعارض؛ ولأن أدلة الرأي الأول مردود عليها مما سبق أن ذكرناه.

ويؤيد هذا الرأي ما يلي:

١- ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه في إمامة الأعمى؛ حيث قال: «ما حاجتهم إليه؟».

٢- ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كيف أؤمهم وهم يعدلونني إلى القبلة؟».

٣- وقال الشافعي في الأم: «ولا أختار إمامة الأعمى على الصحيح؛ لأن أكثر من جعله رسول الله £ إمامًا كان بصيرًا، ولا إمامة الصحيح على الأعمى؛ لأن رسول الله £ كان يجد عددًا من الأصحاء يأمرهم بالإمامة أكثر من عدد من أمر بها من العمي». اهـ.

أي أن الأمرين عنده سواء كما قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في عون المعبود: «والذي فهمه الماوردي من نص الشافعي أن إمامة الأعمى والبصير سواء في عدم الكراهية؛ لأن في كل منهما فضيلة، غير أن إمامة البصير أفضل؛ لأن أكثر من جعله النبي £ إمامًا البصراء». اهـ.

فقول الشافعي: «لا أختار إمامة الأعمى على الصحيح، -أي إمامة الأعمى على إمامة الصحيح- ولا إمامة الصحيح على إمامة الأعمى»، أي أن الأمر يستوي عنده، وإن كان الماوردي رحمه الله فهم من كلام الشافعي أن إمامة البصير الصحيح أفضل؛ لأن أكثر من جعله النبي £ إمامًا البصراء.

من كل ما سبق يتضح أن إمامة الأعمى جائزة وصحيحة إذا أتى بأركان الصلاة وواجباتها وشرائطها، سواء أمَّ الأعمى صحيحًا، أو أمَّ أعمى مثله، ولكن قولنا: إن إمامة الأعمى للصحيح على خلاف الأولى مرتبطة بما إذا كان البصير مثل الأعمى في القراءة والحفظ والعلم بأحكام الصلاة، ولم يكن أحدهما إمامًا راتبًا فأردنا أن نختار أحدهما للإمامة فلنقدم الصحيح على الأعمى، أما إن كان الأعمى قارئًا للقرآن عالمًا بأحكام الصلاة، ولم يكن البصير كذلك فإن الأعمى يقدَّم عليه؛ لقوله £ : «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنًا أو قال سلمًا». [مسلم ٦٧٤].

فقوله £ : «أقرؤهم لكتاب الله» عامة تشمل البصير والأعمى، بل واستخلافه لابن أم مكتوم ليصلي بهم في مسجد المدينة وهو في الغزوات دليل على ذلك، فتعين المصير إلى القول بأن البصير يُقدَّم على الأعمى إذا تساويا في القراءة والعلم بأحكام الصلاة؛ لما سبق أن ذكرناه من أدلة القول الثاني، وما ردوا به على أدلة القول الأول.

مع ملاحظة أن الأعمى قد يكون إمامًا راتبًا لأحد المساجد، وقد يكون في المأمومين من هو أقرأ منهم وأعلم منه بأحكام الصلاة، فيسري عليه ما يسري على الإمام البصير إذا أمَّ قومًا وفيهم من هو أقرأ منه وأحفظ منه (إذا كان إمامًا راتبًا) فلا يجوز التقدم عليه؛ لقوله £ : «لا يؤمَّن الرجلُ الرجلَ في بيته، ولا في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه». [مسلم ٦٧٥].

أما إن كان الأعمى إمامًا راتبًا لا يأتي بأركان الصلاة ولا بشرائطها، فحكمه حكم البصير في كل ما ذكرناه في الحلقات الستة عشرة السابقة.

والله الموفق.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

أسئلة إلى الشيعة الرافضة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

فإلى الذين يبحثون عن الحق من أبناء الشيعة الرافضة، هذه الأسئلة الحائرة التي تبيِّن تناقض واضطراب معتقدات مذهبهم، عسى الله أن يُزيل الغشاوة التي جثمت على قلوبهم والزيغَ الذي ملأ صدورهم، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

١- لماذا زوَّج علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو الإمام المعصوم الأول عندهم ابنته أم كلثوم شقيقة الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه - الكافر في زعمهم -! أليس ذلك ينافي عصمة علي رضي الله عنه، أو يزكي عمر رضي الله عنه؛ لأن عليًا ارتضاه لابنته فأي الجوابين تختار الرافضة؟! فإن كان الأول فهذا معناه سقوط أصلٍ من أصول المذهب الشيعي، وهو عصمة الأئمة، وإن كان الثاني فهذا يستلزم تزكية عمر، الذي تطفح كُتب الرافضة بتكفيره وتفسيقه.

٢- لماذا بايع علي رضي الله عنه أبا بكر وعمر ولم يخرج عليهما، أليس في ذلك إقرار منه لهما بالفضل؟ أم أن المعصوم الأول عند الرافضة يبايع كافريْن ظالمين، ويعين الظلم وأهله؟!

٣- لماذا سمَّى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أبناءه من نسائه اللائي تزوجهن بعد موت فاطمة رضي الله عنها بأسماء الخلفاء الراشدين المهديين بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان؛ حيث أنجب من ليلى بنت مسعود الدارمية: أبا بكر. ومن أم البنين بنت حزام: عثمان. ومن أم حبيب بنت ربيعة: عمر. وهذا مما ذكره صاحب كتاب «كشف الغمة في معرفة الأئمة» للأربلي، وهو من مصادر الرافضة المعتبرة والمعتمدة، فهل يسمي المرء أبناءه الذين هم قرة عينه وفلذة كبده بأسماء أعدائه الذين سلبوه حقه، وغصبوا منه الولاية، وكتموا نصوص القرآن وحرَّفوا فيه لأجل هذه الغاية؟! أليس منكم رجل رشيد؟!

٤- لماذا استعفى عليّ رضي الله عنه من الخلافة، وأبى قبولها عندما قال لأصحاب رسول الله ﷺ: «دعوني والتمسوا غيري»، كما ذكر صاحب نهج البلاغة.

والسؤال المطروح على الرافضة هو: إذا كانت الإمامة ركن من أركان الدين، ونزل بها الوحي الأمين على إمام المرسلين وسيد الأولين والآخرين، فلماذا تنحى عنها عليّ؟ أليس في ذلك هدم لركن الإمامة المزعوم وطعن في الكرَّار المقدام: علي رضي الله عنه؟!

إعداد/ أسامة سليمان

٥- كيف يقبل زوج بنت أشرف الخلق أن تُضرب العفيفة الشريفة حتى يكسر ضلعها ويُحرق بيتها ويسقط جنينها عندما ضربها الصدِّيق؟! أليس في ذلك طعن في علي رضي الله عنه؛ إذ كيف يقبل زوج أن يُفعل ذلك بزوجته؟ أمسلوب الإرادة هو معدوم المقاومة؟! أم أنه عمى البصر وسواد القلب عند من يعتقد ذلك!!

٦- لماذا تنازل علي رضي الله عنه عن الخلافة طواعيةً لعثمان رضي الله عنه، مع أن عليًا كان من الستة الذين أوصى لهم عمر بالخلافة؟ والسؤال لماذا لم يصرح عليّ بأنه موحًى له بالخلافة بوحي إلهي وأمر نبوي؟! فهل يكتم عليّ الحق أم أنه استخدم التقية، وأنى لأمير المؤمنين الذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ذلك يا قوم؟!

٧- إذا كان الله تعالى قد مدَّ في عمر المهدي المزعوم مئات السنين لحاجة الخلق له، فكيف يقول الله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ولمن يحتاج الخلق والكون؟ وصدق رب العالمين: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١].

٨- لماذا خاف المهدي ودخل السرداب، مع أن ملائكة السماء نزلت على رأسه وسائر جسده عند مولده للتبرك به وهي أنصاره عند خروجه كما زعم صاحب روضة الواعظين (ص٢٦٠).

٩- لماذا شارك علي رضي الله عنه في خلافة الصديق رضي الله عنه في حرب المرتدين، وسبى جارية من بني حنيفة أنجب منها محمد ابن الحنفية، أليس ذلك إقرار منه رضي الله عنه بصحة خلافة الصديق؟

١٠- لماذا لم يخرج علي المصحف الكامل بعد موت عثمان؟ وذلك بعد أن تولى الخلافة، حيث يدعي الرافضة أن عليًا رضي الله كان عنده نسخة من القرآن كاملة مرتبة النزول.

١١- هل يصرح رسول الله ﷺ لبني شيبة بحقهم في مفتاح الكعبة ويخبر أن من نزعها منهم فهو ظالم، كما ثبت في صحيح السنة، ولا يصرح بأمر الخلافة لعلي، مع أهمية أمر الخلافة، فلماذا لم يقل رسول الله ﷺ: خذها يا علي، الخلافة فيك وفي أبنائك، لا ينزعها منكم إلا ظالم ؟!

فهل يُعقل أن رسول الله ﷺ يصرح بذلك في مفتاح سدنة الكعبة ويكتم أمر الخلافة؟ أليس معنى ذلك أن الوحي لم يأمره في أمر الخلافة!! وصدق رب العالمين سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦].

وصدق سبحانه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم: ٣-٥].

١٢- أليس في خلاف الحسن رضي الله عنه مع أخيه الحسين رضي الله عنه في قضية صلح معاوية رضي الله عنه إبطال لمعتقد العصمة التي تنادون بها؟ حيث إن الحسن والحسين رضي الله عنهما إمامان معصومان عندهم، فمن كان المخطئ ومن كان على صواب؟! وكذا ألم يخالف الحسن أباه في خروجه لمحاربة المطالبين بدم عثمان رضي الله عنه، كيف يخالف المعصوم ! أليس ذلك أمرًا غريبًا يهدم معتقد العصمة من أساسه.

١٣- لماذا سلَّ علي رضي الله عنه السيف في الجمل وصفين، ولم يسله في أمر الخلافة المصرح بها كما تزعم الرافضة، وأيهما أولى ما وقع باجتهاد منه رضي الله عنه، أم ما ورد فيه نص صريح كما تزعمون؟ أليس لكم عقول تعقلون بها؟!

١٤- لماذا تثبتون العصمة لفاطمة رضي الله عنها دون أختيها رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما، أليس ذلك هو التناقض بعينه؟!

١٥- كيف أثنى مالك بن الأشتر وهو أحد كبار أصحاب علي رضي الله عنه على الخليفتين الراشدين: أبي بكر وعمر؛ حيث قال في خُطَبه وآرائه: «أيها الناس، إن الله بعث فيكم رسوله محمدًا £ وأنزل عليكم الكتاب فيه الحلال والحرام والفرائض والسنن، ثم قبضه الله وقد أدى ما كان عليه، ثم استخلف على الناس أبا بكر فسار بسيرته، واستن بسنته، واستخلف أبو بكر عمر فاستن بمثل تلك السنة. [للمزيد: انظر مالك بن الأشتر خطبه وآراؤه ص٨٩].

فلماذا لا يذكر الرافضة هذا الثناء في مجالسهم وحسينياتهم؟

١٦- هل يقول عاقل إن سيد المرسلين يصاهر رجلاً تقول عنه الرافضة: إنه ابن زنا، وكان به داء لا يهدأ إلا بماء الرجال، بل يذهبون إلى الكفر بعينه حينما يتهمون حفصة رضي الله عنها بالكفر والنفاق كأبيها!! [ذكر ذلك صاحب الكشكول ج٣ ص٢١٢، ونعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية ج١ ص٦٣]، راجع ما كتبوه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

١٧- لماذا قبل سلمان الفارسي وعمار بن ياسر رضي الله عنهما أن يكونا أميرين على المدائن والكوفة في إمارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مع أنهما من أنصار عليّ ومن شيعته في معتقد الشيعة، فكيف لهما أن يعينا الظالم المرتد ورب العالمين يقول: ﴿ وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود: ١١٣]؟! أجيبوا أيها العقلاء.

١٨- كيف كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشاور عليًا رضي الله عنه في كثير من القضايا كما ذكر في نهج البلاغة ص٣٢٥؛ إذ كيف لظالم أن يستعين بأهل الحق، وكيف لعليّ أن يكون مستشارًا لذلك الظالم؟ فكِّروا قليلاً أيها الناس، أم أنه التقليد الأعمى والتعصب المذموم؟!

١٩- أنى للشيعة أن يكفروا صحابة النبي الأخيار، في حين يرفض علي رضي الله عنه أن يكفر الخوارج الذين حاربوه وآذوه وقاتلوه، وقال عنهم: هم من الكفر فروا! فلماذا لا تقتدي الرافضة بإمامهم الأول رضي الله عنه أم أنه الهوى المزعوم واتباع الشيطان الرجيم؟!

٢٠- كيف للصحابة المرتدين أن يقاتلوا أهل الردة كمسيلمة الكذاب وأصحابه، والأسود العنسي وأصحابه، وطليحة الكذاب وأعوانه، وأرغموهم على الرجوع إلى الإسلام، فلماذا لم ينصروهم ويقيموا دعوتهم طالما أن الردة قاسم مشترك عند الفريقين؟

٢١- ما الذي دفع الصديق للمخاطرة والهجرة مع إمام المرسلين، ولم يبق آمنًا مع كفار قريش الذين رصدوا لقتله المكافآت المالية؟ ألم يكن في غنى عن ذلك؟ فإن قيل هاجر لأجل مصالح دنيوية. قلنا لهم: وأي مصالح لرجل يترك أهله وأقاربه ويتعرض للقتل هو وصاحبه؟ وكيف يصاحب رسول الله £ رجلاً منافقًا في هجرته؟! أليس منكم عاقل رشيد؟!

٢٢- كيف نوجه قول علي رضي الله عنه لأصحابه: كونوا كأصحاب عيسى نُشروا بالمناشير وصُلبوا على الخشب عند تعرضهم لزمن الفتن، فموتٌ على طاعة خيرٌ من حياة في معصية، كما قال رضي الله عنه مع عقيدة الشيعة في التقية التي تعني المداهنة والنفاق والجبن، وعدم مواجهة الباطل ومداهنته؟

٢٣- إذا كانت الخلافة مغنمًا لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلماذا لم يخلفا أولادهما وأقاربهما فيها ؟ لو كانوا يريدون دنيا وسلطة كما تصورهم الشيعة الرافضة؟

٢٤- لماذا لم يكتم الصحابة الأطهار الأبرار أحاديث مناقب علي رضي الله عنه كقوله £ لعلي رضي الله عنه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى». رواه مسلم. وغيره من الأحاديث التي وردت في فضله؟ حيث تدعي الرافضة أن الصحابة كتموا وحرَّفوا في كتاب الله ما ورد بشأن ولاية عليّ فكيف نوفق بين إبلاغهم للأحاديث وكتمهم وتحريفهم للقرآن؟ أليس هذا هو التناقض بعينه؟

٢٥- كيف يقبل أمير المؤمنين عليّ بطل الأبطال والأسد الكرار أن يدفن رسول الله £ بين كافرين - كما تزعم الرافضة الفجار- وكيف لا يحفظ الله نبيه الأمين من هذا المكان الأثيم - في زعم الشيعة-، فأبو بكر وعمر في جواره بعد موته، وهما رأس الكفر وصنما قريش كما يردد هؤلاء المجرمون!

يقول شاعرهم الحقير في ذلك:

إلامَ أيـــهـــا الــــنـــــاسُ
سَـتَـبْـقـى هـذه الـبـدعه
رســـولُ الـــلـه مــدفـــونٌ
وشَـيـطـانـانِ فـي بُـقـعَـه

«كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً»

٢٦- لماذا لم يستخدم علي رضي الله عنه وكذا أبناء الحسن والحسين رضي الله عنهما خوارقهم التي أثبتها لهم الرافضة حتى بعد موتهم في مواجهة ما وقع لهم في حياتهم الدنيا، فعليّ قُتل شهيدًا، والحسن تنازل عن الخلافة لمعاوية، والحسين مات شهيدًا بعد خدعة الرافضة له ولم يحصل له ما تمناه أليس في ذلك تناقض واضح ؟!

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اجتماع طارئ لمجلس الإدارة بالمركز العام

عقد مجلس إدارة المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية اجتماعًا طارئًا لبحث عدة أمور؛ تهم الدعوة والجماعة، وقد عُقد الاجتماع برئاسة الدكتور عبد الله شاكر، الرئيس العام للجماعة، ورئيس مجلس إدارة مجلة التوحيد، وحضره كل من: الدكتور عبد العظيم بدوي المشرف العام على المجلة، والشيخ أحمد يوسف الأمين العام، والشيخ زكريا حسيني محمد، والشيخ محمد رزق ساطور، والشيخ معاوية محمد هيكل، والشيخ علي حشيش، والشيخ أسامة سليمان، والشيخ حسن البنا، والشيخ جمال عبد الرحمن، والمهندس عاطف التاجوري، والأستاذ جمال سعد حاتم رئيس تحرير مجلة التوحيد.

وقد أصدر المجلس عدة قرارات - بعد مناقشات استمرت أكثر من ساعتين - نوجزها فيما يلي:

أولاً: ناقش المجلس الهجمة الشرسة من الوشاة والحاقدين على الجماعة ومجلة التوحيد ورجالات الجماعة ومشايخها بالكذب والبهتان ونشر الأخبار المكذوبة والملفقة من أصحاب الهوى، وذوي النفوس المريضة في بعض الجرائد الصفراء؛ بغرض إحداث بلبلة حول الجماعة ومجلتها، وقد أجمع الأعضاء على أن المجلس سوف يتصدى بكل قوة لتلك الافتراءات المكذوبة ومحاولات التشويه، وتم الاتفاق على انتداب مستشار قانوني من الهيئة القضائية؛ ليكون مستشارًا قانونيًا للجماعة، وكذا التقدم ببلاغات للنائب العام حول الكذب المنشور عن الجماعة والمجلة، مما يُعد سبًا وقذفًا ممن لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، وتحريك الموضوع قضائيًا لرد الاعتبار والادعاء بالتعويض المدني أمام الجهات القضائية، وكذلك التقدم بمذكرة يعدّها رئيس التحرير إلى المجلس الأعلى للصحافة ونقابة الصحفيين بهذا الخصوص.

ثانيًا: ناقش المجلس العلاقة مع الفروع في المرحلة القادمة؛ نظرًا لانتهاء موسم الصيف والأسابيع الثقافية، مؤكدًا على ضرورة تنشيط الزيارات الدعوية للفروع، ووضع السبل المثلى لتنفيذ ذلك.

ثالثًا: التأكيد على عدم الإدلاء بأي تصريحات للصحف من أعضاء مجلس الإدارة، وقصر هذا الموضوع على الرئيس العام ونائبه، بالتنسيق مع رئيس التحرير فيما يخص الجانب الإعلامي.

رابعًا: بحث المجلس الطلبات الخاصة المقدمة من الفروع وخاصة الدعوية منها، وقد عُرض على المجلس ملفات بعض الحالات المرضية وخاصة الأمراض المزمنة.

خامسًا: تحدث الرئيس العام مع الأعضاء حول تفعيل القوافل الدعوية للمحافظات، وخاصة محافظات الصعيد، وتحديدًا مركزي «إدفوا، وملاوي» من الأيام القادمة.

سادسًا: ناقش المجلس التفاعل مع الفروع في الأسابيع الثقافية من خلال التنسيق بين إدارة الدعوة بالمركز العام وإدارات الدعوة في الفروع على مستوى الجمهورية.

وفق الله الجماعة ورجالاتها ومشايخها وحفظهم من كيد الكائدين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيان من المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد أمر الله تعالى بالعدل والإنصاف حتى مع المخالفين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

ومن أجل ذلك يجب على من يتصدى للكلام عن الناس والحكم عليهم أن يتصف بالعلم والعدل، وأن يكون منصفًا، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا...﴾ [الأنعام: ١٥٢].

يقول ابن القيم رحمه الله: والله تعالى يحب الإنصاف، بل هو أفضل حلية يتحلى بها الرجل، خصوصًا من نصب نفسه حكمًا بين الأفراد والمذاهب، وقد قال تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]. اهـ.

قال بكر بن المنير: سمعت أبا عبد الله البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا.

وقد علق الإمام الذهبي على هذا بقوله: صدق رحمه الله، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس.

وفي الآونة الأخيرة تناولت بعض الصحف إخوانًا لنا في أنصار السنة سبًّا وتجريحًا وطعنًا، ونالوا منهم ومن أمانتهم، وكان الواجب على هؤلاء تحري الحق والصدق والكفّ عن سوء الظن، والقول بلا علم، قال الذهبي: «وإنما الكلام في العلماء مفتقرٌ إلى وزن بالعدل والورع».

ونحن في أنصار السنة المحمدية نتذرع بالصبر والصفح الجميل في مواجهة هؤلاء، ونستعين به سبحانه في أن يكفينا شرورهم، ونستعيذ به من طعن الحاسدين، وأقوال أهل الأهواء الذين استمرؤوا الوقيعة في أهل العلم والدين، وسنواجه بإذن الله هؤلاء أمام القضاء في الدنيا، وبين يدي الله في الآخرة ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

ونقول لإخواننا الذين ظلمهم هؤلاء: احتسبوا ذلك عند ربكم، وأنصح إخواننا المسلمين بالتثبت في نقل الأخبار، وعدم أخذ المعلومات من مصادر واهية يعوزها الدليل فيما تنقل وتقول، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ونحمد الله عز وجل أننا نعمل ضمن إطار قانوني مشروع، وتشرف علينا الجهات الرسمية المنوط بها ذلك في الدولة، ولم تأخذ علينا شيئًا، ولم نتهم في قليل أو كثير.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الرئيس العام للجماعة/ د. عبدالله شاكر



الآن
سارع
بحجز نسختك من المجلد الجديد
المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد
التوحيد
١٤٢٩
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
١٤٢٩
لعام ١٤٢٩هـ
الآن أصبحت ٣٧ مجلدا من الموسوعة
والآن الكرتونة الكاملة من موسوعة مجلدات التوحيد فقط بـ٦٨٠ جنيها
وخارج مصر ٢٣٠ دولار
موسوعة علمية
لا تخلو منها مكتبة - ويحتاج إليها كل بيت
موسوعة علمية